

سلسلة شُرُوحَاتٍ وَمَوْلاَفَاتٍ مَعَالِي الشَّيْخِ صَلَاحِ الْفُوزَانِ ٣٠

التعليقات المختصرة

على متن

الحَقِيقَةُ الطَّائِفَةُ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صلاح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

بمقر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتقني به وأمرني على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجاهد السويلي

بمقر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مكتبة الأمل للدراسات

الرياض

التراب للدراسات

الرياض

سلسلة شُرُوحَاتٍ وَمَوْلاَفَاتٍ
مَعَالِي الشَّيْخِ صَلَاحِ الْفُوزَانِ
٣٠

التعليقات المختصرة
على متن

العقيدة الطحاوية

٢ سلمان جابر عثمان المجلهم، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبه الملك فهد الوطنيه أثناء النشر

المجلهه، سلمان جابر بن عثمان

التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، /

سلمان بن جابر عثمان المجلهه، - الرياض، ١٤٤٠هـ

٣٥٧ ص، ... سم

ردمك: ٩-٠٩٨٤-٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

أ. العنوان

١- العقيدة الاسلاميه

١٤٤٠/٩٦٨٢

ديوي ٢٤٠

رقم الايداع: ١٤٤٠/٩٦٨٢

ردمك: ٩-٠٩٨٤-٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

* الرئيسي - حولي - شارع المثني - مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ - فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤

* فرع حولي - شارع الحسن البصري - ت: ٢٢٦١٥٠٤٦

* فرع المصاحف - حولي - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨

* فرع الفحيحيل - شارع الدبوس - البرج الأخضر - ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩

* فرع الرياض - المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي،

ت: ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساحن: ت: ٠٠٩٦٥٩٤٤٠٥٥٥٩

E - mail: z.zahby74@yahoo.com

imamzahby

التعليقات المختصرة
على متن
الحَقِيقَةُ الطَّائِفَةُ

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ الدَّيْرَةُ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

اعتنق به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجاهد السويلي
عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ الدَّيْرَةُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِأَجْمَعٍ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم،
بطباعة كتابي: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي.
رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.
وصلى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤٤١/١٧
١٤٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه تعليقات يسيرة على متن العقيدة الطحاوية، فرَّغت
من أشربة الدروس التي ألقيتها على هذا المتن في الطائف، وقد راجعتها،
وأجريت عليها بعض التصحيحات والتعديلات، وأذنت بطبعها ونشرها؛
رجاء الاستفادة منها، ومن أدرك فيها خطأ حصل مني، فأرجو أن ينبهني عليه،
وله من الله المثوبة. وأسأل الله أن يجعل في هذا العمل ما ينفع المسلمين!
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

هـ ١٤٢١/٦/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً عظيماً، أما بعد:

فهذا كتاب شيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان -أثابه الله تعالى-، عنوانه سماحة شيخنا بعنوان: «التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية»، وهو عبارة عن تعليقات سلفية، مشتملة على جمل عظيمة من اعتقاد الفرقة الناجية السعيدة، أهل السنة والجماعة والتوحيد، منهاجها ما صرحت به آيات الكتاب المجيد والسنة الشريفة العظيمة.

وقد علق شيخنا ووالدنا العلامة الشيخ الدكتور/ صالح الفوزان، على كل فقرة مما ألفه الإمام المحدث الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي؛ نسبة إلى قرية بصعيد مصر، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (٣٢١هـ)، ودفن في مصر بالقرافة، غفر الله له، وجزاه الأجر الكبير على ما بين، وعلى ما أوضح، وعلى ما كتب ونص عليه في هذه العقيدة السنية المباركة، مما يجب اعتقاده من أصول الدين، والايان بالله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين جَلَّ جَلَالُهُ.

وهي عقيدة سهلة العبارة، واضحة المعنى، تتسم بالجمع والاختصار، وقد اجتمع على مجملها أهل السنة والجماعة، فكانت في معظمها محل إجماع واتفاق بين أهل العلم.

وقد أثنى العلماء الفضلاء على الإمام أبي جعفر الطحاوي، حتى قال ابن يونس: (كان الطحاوي ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله)، وقال الإمام الذهبي: (الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً)، وقال الإمام ابن كثير: (هو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة).

وقد أجاد شيخنا العلامة الدكتور/ صالح الفوزان بتعليقاته النافعة الواضحة الكاشفة، بأسلوب ميسر، فكانت تعليقاته الصالحة عبارة عن خلاصة مهمة ونبذة طيبة في علم العقيدة الإسلامية الصحيحة المرتكزة على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

ومن جميل ما قاله شيخنا العلامة/ صالح الفوزان في بداية شرحه وتعليقه: (إن العقيدة هي أساس الدين، وهي مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والركن الأول من أركان الإسلام، فيجب الاهتمام بها والعناية بها ومعرفتها، ومعرفة ما يخل بها؛ حتى يكون الإنسان على بصيرة، وعلى عقيدة صحيحة؛ لأنه إذا قام على أساس صحيح، صار ديناً قيماً مقبولاً عند الله، وإذا قام على عقيدة مهزوزة ومضطربة، أو عقيدة فاسدة، صار الدين غير صحيح، وعلى غير أساس).

ورغم ما أشرنا إليه من محاسن هذه العقيدة الطيبة، إلا إنه وردت فيها بعض العبارات المجملة التي تحتمل معاني باطلة، يكثر استعمالها من أهل البدع في مقاصد تخالف ما عليه السلف الصالح؛ مثل قوله: «وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات كسائر المبتدعات»؛ فمثل هذه العبارات يستعملها المعطلة في نفي ما ثبت لله تعالى في

كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصفات الحسنى اللاتقة بكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولأجل ذلك كان من المهم لطالب العلم أن يعتني بأخذ هذه العقيدة عمن شرحها من أهل السنة والجماعة والحق؛ لأنه وجدت بعض الشروح لا تخلو من أخطاء وملاحظات ومخالفة لما في عقيدة الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن الذين ألفوا هذه الشروح ألفوها على منهج المتأخرين، وقد قال شيخنا/ صالح الفوزان - أثابه الله -: (إلا شرحاً واحداً - فيما نعلم -، وهو شرح ابن أبي العز الحنفي، فهو شرح حافل، وكان العلماء يعتمدون عليه، ويعتنون به، لنقاوته، وصحة معلوماته، فهو مرجع عظيم من مراجع العقيدة).

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبدالرحمن: مساعد بن علي الشايحي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوْلَمِيَّ

عَفَرَ اللَّهُ وَلَوْ لَزِمَ وَلَا يَهْلِي بِهِ وَلَا يَخِو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ الْعَلَامَةُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ
الطَّحَاوِيُّ - بِمَضَرَّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ^(١)، عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ:
أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ^(٢)، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
الْأَنْصَارِيِّ^(٣)، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ^(٤) - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ - وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

(١) انظر: مادة: «عقد» في: لسان العرب (٣/ ٢٩٦)، ومختار الصحاح (ص ١٨٦)، والقاموس
المحيط (٣٨٣).

(٢) هو فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي
الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، أحد الأئمة الأربعة، يقال: إنه من أبناء الفرس، ولد
سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قدم عليهم الكوفة.
انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٣)، ووفيات الأعيان (٥/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء
(٦/ ٣٩٠)، وطبقات الحفاظ (ص ٨٠).

(٣) هو الإمام المجتهد العلامة المحدث كبير القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري
الكوفي، صاحب أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مولده في سنة ثلاث عشرة ومئة، ومات سنة إحدى
أو اثنتين وثمانين ومئة ببغداد في خلافة هارون الرشيد.
انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٣٠)، والأنساب (١/ ٢٨٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٣٧٨)،
وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥).

(٤) هو الإمام العلامة فقيه العراق محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم،
صاحب أبي حنيفة، وإمام أهل الرأي، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وأخذ الفقه عن أبي
حنيفة، وأبي يوسف ولد سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وتوفي سنة تسع وثمانين ومئة بالري.
انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٨٤)، والوفاء بالوفيات =

الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن العقيدة هي أساس الدين، وهي مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والركن الأول من أركان الإسلام^(١)، فيجب الاهتمام بها والعناية بها ومعرفتها، ومعرفة ما يخل بها، حتى يكون الإنسان على بصيرة، وعلى عقيدة صحيحة؛ لأنه إذا قام الدين على أساس صحيح، صار ديناً قيماً مقبولاً عند الله، وإذا قام على عقيدة مهزوزة ومضطربة، أو عقيدة فاسدة، صار الدين غير صحيح، وعلى غير أساس، ومن ثم كان العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ يهتمون بأمر العقيدة، ولا يفترون في بيانها في الدروس وفي المناسبات، ويرووها المتأخر عن المتقدم.

كان الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ ليس عندهم أي شك فيما جاء به القرآن وما جاءت به سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت عقيدتهم مبنية على

= (٢٤٧/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٤/٩)، والأنساب (٤٨٣/٣)، وشذرات الذهب (٣٢٢/١).

(١) لحديث عبد الله بن عمر رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». أخرجه البخاري (٨، ٤٥١٤)، ومسلم (٢٠، ١٦).

كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعترهم في ذلك شك ولا توقف، فما قاله الله وقاله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اعتقدوه، ودانوا به، ولم يحتاجوا إلى كتابة تأليف؛ لأن هذا مسلم به عندهم ومقطوع به، وكانت عقيدتهم الكتاب والسنة، ثم درج على ذلك تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا عنهم، فلم يكن هناك أخذ ورد في العقيدة، كانت قضية مسلمة، وكان مرجعهم الكتاب والسنة.

فلما ظهرت الفرق والاختلافات، ودخل في الدين من لم ترسخ العقيدة في قلبه، أو دخل في الإسلام، وهو يحمل بعض الأفكار المنحرفة، ونشأ في الإسلام من لم يرجع إلى الكتاب ولا إلى السنة في العقيدة، وإنما يرجع إلى قواعد ومناهج أصلها أهل الضلال من عند أنفسهم، عند هذا احتاج أئمة الإسلام إلى بيان العقيدة الصحيحة وتحريرها وكتابتها وروايتها عن علماء الأمة، فدونوا كتب العقائد، واعتنوا بها، وصارت مرجعاً لمن يأتي بعدهم من الأمة إلى أن تقوم الساعة.

وهذا من حفظ الله تعالى لهذا الدين، وعنايته بهذا الدين؛ أن قيض له حملة أمناء يبلغونه كما جاء عن الله وعن رسوله، ويردون تأويل المبطلين وتشبيه المشبهين، وصاروا يتوارثون هذه العقيدة خلقاً عن السلف.

ومن جملة السلف الصالح الذين كانوا على الاعتقاد الثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين، من جملتهم الأئمة الأربعة؛ الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وغيرهم من الأئمة الذين قاموا بالدفاع عن العقيدة وتحريرها، وبيانها وتعليمها للطلاب.

وكان أتباع الأئمة الأربعة يعتنون بهذه العقيدة، ويتدارسونها، ويحفظونها لتلاميذهم، وكتبوا فيها الكتب الكثيرة على منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون، وردوا العقائد الباطلة والمنحرفة، وبينوا زيفها وباطلها. وكذلك أئمة الحديث: كإسحاق ابن راهويه، والبخاري، ومسلم، والإمام ابن خزيمة، والإمام ابن قتيبة، ومن أئمة التفسير: كالإمام الطبري، والإمام ابن كثير، والإمام البغوي، وغيرهم من أئمة التفسير.

وألّفوا في هذا مؤلفات، يسمونها بكتب السنة، مثل: «كتاب السنة» لابن أبي عاصم، و«كتاب السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل، و«السنة» للخلال، و«الشريعة» للأجري، وغير ذلك.

ومن جملة هؤلاء الأئمة الذين كتبوا في عقيدة السلف: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي^(١)، من علماء القرن الثالث بمصر، وسمي بالطحاوي نسبة لبلدة في مصر، فكتب هذه العقيدة المختصرة النافعة المفيدة.

(١) الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفتيها، برز في علم الحديث والفقه وجمع وصنف، وكان ثقة ثباتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله، ومن نظر في توافيق هذا الإمام علم محله من العلم وسعة معارفه، توفي سنة ٣٢١ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧/٣٣)، والعبر في خبر من غبر (٢/١٩٢)، والبداء والنهاية (١١/١٧٤)، وشذرات الذهب (٢/٢٨٨)، وتاريخ مدينة دمشق (٥/٣٦٧)، والأنساب (٤/٥٣)، والمعين في طبقات المحدثين (١/١١٠)، والوافي بالوفيات (٨/٨)، وطبقات الحفاظ (١/٣٣٩)، وطبقات الفقهاء (١/١٤٨)، ومعجم السفر (١/١٦)، وكشف الظنون (٢/١٠٤٦).

وكتبت عليها شروح، حوالي سبعة شروح، ولكن لا تخلو من أخطاء؛ لأن الذين ألفوها كانوا على منهج المتأخرين، فلم تخل شروحهم من ملاحظات ومخالفة لما في عقيدة الطحاوي، إلا شرحاً واحداً فيما نعلم، وهو شرح العز بن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ^(١)، المشتهر بشرح الطحاوية، وهذا من تلاميذ ابن كثير^(٢) فيما يظهر، وقد ضمن شرحه هذا منقولات من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)، ومن كتب ابن القيم^(٤)، ومن كتب الأئمة، فهو شرح

(١) هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحى نشأ رَحِمَهُ اللهُ في أسرة ذات نباهة وذكر وتلمذ على الحافظ ابن كثير ونصر أقوال ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله جميعاً. انظر: شذرات الذهب (٦/٣٢٦). وإنباء الغمر (٢/٩٥ - ٩٨)، والدليل الشافي لابن تغري بردي (١/٤٦٥).

(٢) هو الإمام الفقيه المحدث عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الشافعي، مولده في سنة نيف وسبعائة، قال عنه الذهبي: (فقيه متقن، ومحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم). انظر: معجم الذهبي (ص ٥٦)، وذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٧، ٣٦١)، وشذرات الذهب (٦/٢٣١)، والدرر الكامنة (١/٤٤٥).

(٣) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحارثي ثم الدمشقي، تقي الدين أبو العباس، ولد في سنة إحدى وستين وستائة، نشأ في بيت علم ودين، فطلب العلم وهو صغير، ونظر في الرجال والعلل، وتفقه، وتمهر، وتميز، وتقدم، وصنف، ودرس، وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعائة. انظر: معجم الذهبي (ص ٢٦)، والبداية والنهاية (١٤/١٣٥)، والدرر الكامنة (١/١٦٨)، وشذرات الذهب (٦/٨٠)، والبدر الطالع (١/٦٣).

(٤) هو الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ثم الدمشقي، الفقيه الحنبلي، المفسر، النحوي، الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، ولد سنة إحدى وتسعين وستائة، وكان جرى الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، وهو الذي هذب كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ونشر علمه، توفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. =

حافل، وكان العلماء يعتمدون عليه، ويعتنون به؛ لنقاوته وصحة معلوماته، فهو مرجع عظيم من مراجع العقيدة، والمؤلف - كما ذكر - ألف هذه العقيدة على مذهب أهل السنة عموماً، ومنهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فهو أقدم الأئمة الأربعة، وأدرك التابعين، وروى عنهم. وكذلك أصحابه أبو يوسف، ومحمد الشيباني، وأئمة المذهب الحنفي.

ذكر عقيدتهم، وأنها موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة، وفي هذا ردٌّ على المنتسبين إلى الحنفية في الوقت الحاضر أو في العصور المتأخرة، ينتسبون إلى الحنفية، ويخالفون أبا حنيفة في العقيدة، فهم يمشون على مذهبه في الفقه فقط، ويخالفونه في العقيدة، يأخذون عقيدة أهل الكلام والمنطق، وكذلك حدث في الشافعية المتأخرين منهم، يخالفون الإمام الشافعي في العقيدة، وإنما ينتسبون إليه في الفقه، كذلك كثير من المالكية المتأخرين ليسوا على عقيدة الإمام مالك، لكنهم يأخذون من مذهب مالك في الفقه فقط، أما العقيدة، فهم أصحاب طرق وأصحاب مذاهب متأخرة.

ففي هذه العقيدة ردٌّ على هؤلاء وأمثالهم ممن ينتسبون إلى الأئمة، ويتمذهبون بمذاهب الأئمة الأربعة، ويخالفونهم في العقيدة؛ كالأشاعرة ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري في مذهبه الأول، ويتركون ما تقرر واستقر عليه أخيراً من مذهب أهل السنة والجماعة، فهذا انتساب غير صحيح؛ لأنهم لو كانوا على مذهب الأئمة، لكانوا على عقيدتهم.

= انظر: البداية والنهاية (١٤/٢٣٤)، والدرر الكامنة (٥/١٣٨)، والوافي بالوفيات (٢/١٩٥)، والمقصد الأرشد (٢/٣٨٤)، وشذرات الذهب (٦/١٦٨).

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ (١) (٢) [١].

الشرح

[١] نقول، أي؛ نعتقد في توحيد الله عَزَّجَلَّ.

والتوحيد لغة: مصدر وحّد، إذا جعل الشيء واحداً (٣).

وشرعاً: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ، وترك عبادة ما سواه.

وأقسامه ثلاثة بالاستقراء من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما تقرر عليه مذهب أهل السنة والجماعة، فمن زاد قسمًا رابعًا أو خامسًا، فهو زيادة من عنده؛ لأن الأئمة قَسَمُوا التوحيد إلى أقسام ثلاثة من الكتاب والسنة.

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره في قوله: (وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ): «هذا تأكيد بعد تأكيد لبيان عظم مقام التوحيد» انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، والاعتقاد للبيهقي (ص ٦٧).
(٢) لمعرفة أقوال أهل العلم في أقسام التوحيد، انظر: على سبيل المثال: «تفسير الطبري» (٣/ ٢١٤)، (٤/ ٤١)، و«اعتقاد أئمة الحديث» لأبي بكر الإسماعيلي (ص ٤٠ وما بعدها)، و«الإيمان» لابن منده (١/ ٣٧٩)، و«التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد» لابن منده أيضًا (١/ ٦١ - ١١٦)، (٣/ ٧ وما بعدها)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٧٦ - ٨٨)، و«المنتقى من منهاج الاعتدال» للذهبي (ص ١٤٨)، و«مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٦، ٣٨)، و«الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد» لشيخنا محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، و«القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد» للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.

(٣) التوحيد: مصدر وحّد يوحد توحيداً، فَوَحَّدَ يعني: جعله واحداً. انظر: القاموس المحيط (ص ٤١٤)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠١٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).

فكل آيات القرآن والأحاديث في العقيدة لا تخرج عن هذه الأقسام

الثلاثة:

القسم الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله تعالى وإفراده بأفعاله: كالخلق، والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الكون، فليس هناك رب سواه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، رب العالمين.

القسم الثاني: توحيد الألوهية أو توحيد العبادة؛ لأن الألوهية معناها عبادة الله **عَزَّجَلَّ** بمحبته وخوفه ورجائه، وطاعة أمره، وترك ما نهى عنه؛ فهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي شرعها لهم.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الأسماء والصفات، وتنزيهه عما نزه عنه نفسه، ونزّهه عنه رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من العيوب والنقائص.

فكل الآيات التي تتحدث عن أفعال الله، فإنها في توحيد الربوبية، وكل الآيات التي تتحدث عن العبادة والأمر بها والدعوة إليها، فإنها في توحيد الألوهية، وكل الآيات التي تتحدث عن الأسماء والصفات **لِلَّهِ عَزَّجَلَّ**، فإنها في توحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأقسام الثلاثة المطلوب منها هو توحيد الألوهية؛ لأنه هو الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، وقام من أجله الجهاد في سبيل الله، حتى يُعبد الله وحده، وتُترك عبادة ما سواه.

وأما توحيد الربوبية -ومنه توحيد الأسماء والصفات-، فلم ينكره أحد من الخلق، وذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذلك في آيات كثيرة، ذكر أن الكفار

مُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، والمدبر، فهم لا يخالفون فيه. وهذا النوع إذا اقتصر عليه الإنسان، لا يدخله ذلك في الإسلام؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل الناس، وهم يقرون بتوحيد الربوبية، واستحل دماءهم وأموالهم.

ولو كان توحيد الربوبية كافياً، لما قاتلهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل ما كان هناك حاجة إلى بعثة الرسل، فدل على أن المقصود والمطلوب هو توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية، فإنه دليل عليه، وآية له، ولذلك إذا أمر الله بعبادته، ذكر خلقه للسموات والأرض، وقيامه سبحانه بشؤون خلقه؛ برهاناً على توحيد الألوهية، وإلزاماً للكفار والمشركين، الذين يعترفون بالربوبية، وينكرون الألوهية، ولما قال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥٠]»^(١)، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ قَالَ: وَشَكُوهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُوَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْحَرَبِيَّةَ. قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ: يَا عَمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. قَالَ: فَتَزَلْ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿صَّ وَالْفَرَّاءِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشَفَاقٍ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾». أخرجه في المسند (٣/ ٤٥٨)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة ص (٣٢٣٢) وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي في الكبرى (٨٧١٦). وكذا صححه الشيخ أحمد شاكر (٢٠٠٨).

بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿[الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿[الصفات: ٣٥-٣٦]، فهم لا يريدون توحيد الألوهية، بل يريدون أن تكون الآلهة متعددة، وكلّ يعبد ما يريد.

فيجب أن يُعلم هذا؛ فإن كل أصحاب الفرق الضالة الحديثة والقديمة يركزون على توحيد الربوبية، فإنه إذا أقر العبد عندهم بأن الله هو الخالق الرازق، قالوا: (هذا مسلم)، وكتبوا بذلك عقائدهم، فكل عقائد المتكلمين لا تخرج عن تحقيق توحيد الربوبية والأدلة عليه.

وهذا لا يكفي، بل لابد من الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿[النحل: ٣٦]، يأمرهم الناس بعبادة الله، وهي توحيد الألوهية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿[الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿[النساء: ٣٦].

كل الآيات تأمر بتوحيد الألوهية، وتدعو إليه، وجميع الرسل دعوا إلى توحيد الألوهية، وأمروا به أمهم، ونهواهم عن الشرك، هذا هو المطلوب والغاية والقصد من التوحيد، وأما توحيد الأسماء والصفات، فأنكره المبتدعة من الجهمية^(١)،

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان، أبي محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وزعم أن القرآن مخلوق، =

والمعتزلة^(١)، والأشاعرة^(٢)، على تفاوت بينهم في ذلك.

= وذهب إلى القول بأن العبد لا قدرة له أصلاً، بل فعله كحركة المرتعش أو كالريشة في مهب الريح، أو بمنزلة حركة أغصان الشجر، فالعبد عندهم مجبور على فعله، وأن الجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، قتله سلم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومئة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدريّة؛ لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها.

وقد افرقت المعتزلة إلى فرق شتى، يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة؛ وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبده والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، وُلد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كُلاب، وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث، وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كُلاب. وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاث مئة. اهـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

وقوله: (نَقُولُ)؛ أي: يقول معشر أهل السنة والجماعة في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: (إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ).

العقيدة والتوحيد بمعنى واحد، سواء سُميت عقيدة، أو توحيداً، أو إيماناً، فالمعنى واحد، وإن اختلفت الأسماء.

وقوله: (بِتَوْفِيقِ اللَّهِ)، هذا تسليم لله عَزَّوَجَلَّ، وتضرع إلى الله، وتبرؤ من الحول والقوة، فالإنسان لا يزكي نفسه، وإنما يقول: (بتوفيق الله، بمشيئة الله، بحول الله)، هذا أدب العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

قوله: (إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ)، هذا هو التوحيد؛ واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، وواحد في أسمائه وصفاته.



وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهُ^[١]،

الشرح

[١] مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]؛ أي: شبهاء ونظراء^(١).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ أي: مماثل يساميه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالتمثيل والتشبيه منفيان عن الله عَزَّوَجَلَّ.

لا يشبهه أحد من خلقه، وهذا هو الواجب؛ أن ثبت ما أثبتته الله لنفسه، ونعتقدده، ولا نشبهه بأحد من خلقه، ولا نمثله بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا فيه رد على المشبهة الذين يعتقدون أن الله مثل خلقه، ولا يفرقون بين الخالق والمخلوق، وهو مذهب باطل.

وفي مقابله مذهب المعطلة؛ الذين غلوا في التنزيه، حتى نفوا عن الله ما أثبتته من الأسماء والصفات؛ فرارًا من التشبيه بزعمهم.

فكلتا الطائفتين غلت؛ المعطلة غلوا في التنزيه ونفي المماثلة، والمشبهة غلوا في الإثبات، وأما أهل السنة والجماعة، فتوسطوا؛ فأثبتوا ما أثبتته الله لنفسه على ما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تعطيل، على حد قوله تعالى:

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٤٢٠): (النَّدُّ، بِالْكَسْرِ: الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ، وَالْجُمْعُ: أَنْدَادٌ). وانظر: العين (٨/ ١٠)، والصحاح (٢/ ٥٤٣)، والمصباح المنير (٢/ ٥٩٧).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فقلوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نفي للتشبيه، وقلوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ نفي للتعطيل، وهذا المذهب الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة.

ولهذا يُقال: المعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً، والموحد يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا.



وَلَا شَيْءٌ يُعْجِزُهُ^[١]،

الشرح

[١] هذا إثبات لكمال قدرته: قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وقال
تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

والقدير معناه: المبالغ في القدرة، فقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَعْجِزُهَا شَيْءٌ،
إذا أراد شيئاً، فإنما يقول له: ﴿كُنْ﴾، فيكون.

فهذا فيه إثبات قدرة الله عَزَّجَلَّ، وإثبات شمولها وعمومها لكل شيء.

أما العبارة التي يقولها بعض المؤلفين: (إنه على ما يشاء قدير)، فهذه
غلط؛ لأن الله لم يقيد قدرته بالمشيئة، بل قال: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فقل
ما قاله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. إنما هذه وردت في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا
يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]؛ لأن الجمع له وقت محدد في المستقبل، وهو قادر
على جمعهم في ذلك الوقت - أي: أهل السماوات وأهل الأرض -، قال تعالى:
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَائِبَةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].



وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ^[١]،

الشرح

[١] هذا هو توحيد الألوهية، (لا إله)؛ أي: لا معبود بحق غيره. أما إذا قلت: (لا معبود إلا هو، أو لا معبود سواه)، فهذا باطل؛ لأن المعبودات كثيرة من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا قلت: (لا معبود إلا الله)، فقد جعلت كل المعبودات هي الله، وهذا مذهب أهل وحدة الوجود^(١)، فإذا كان قائل ذلك يعتقد هذا، فهو من أصحاب أهل وحدة الوجود، وأما إن كان لا يعتقد هذا، إنما يقوله تقليدًا، أو سمعه من أحد، فهذا غلط، ويجب عليه تصحيح ذلك. وبعض الناس يستفتح بهذا في الصلاة، فيقول: (ولا معبود غيرك)، والله معبود بحق، وما سواه فإنه معبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

(١) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مذهبهم الذي هم عليه: أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ؛ وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدْعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الْخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَصَفُّ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ وَمَذْذٍ وَذَمٍّ إِنَّمَا الْمَتَصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنُ الْخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لَوْجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ مُنْفَصِلٌ عَنْهَا أَصْلًا؛ بَلْ عِنْدَهُمْ مَا تَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ. فَعِبَادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ. انظر: أمراض القلوب وشفائها (١/ ٦٤)، والفتاوى الكبرى (٥/ ١٢٢-١٢٣)، والفرقان (١/ ١١٣)، ودرء التعارض

(٧/ ١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٢/ ١٢١-١٢٦).

قَدِيمٌ بِلاِ ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلاِ انْتِهَاءٍ^[١]، لا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ^[٢]،

الشرح

[١] كما دل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»^(١).

لكن كلمة «قديم» لا تُطلق على الله عَزَّجَلَّ إلا من باب الخبر، أما من جهة التسمية، فليس من أسمائه: القديم، وإنما من أسمائه: الأول. والأول ليس مثل القديم؛ لأن القديم قد يكون قبله شيء، أما الأول، فليس قبله شيء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»، لكن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ احتاط، فقال: (قَدِيمٌ بِلاِ ابْتِدَاءٍ)، أما لو قال: (قديم)، وسكت، فهذا ليس بصحيح في المعنى.

[٢] قوله: (لا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ)، الفناء والبيد بمعنى واحد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوف بالحياة الباقية الدائمة، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فالله لا يأتي عليه الفناء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصل: ٨٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣٦) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، فله البقاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والخلق يموتون ثم يبعثون، وكانوا في الأول عدماً، ثم خلقهم الله، ثم يموتون، ثم يبعثهم الله عَزَّجَلَّ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له بداية، وليس له نهاية.

(١) أخرجه مسلم (٦١) (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ^[١]،

الشرح

[١] هذا فيه إثبات القدر وإثبات الإرادة؛ فلا يكون في ملكه، ولا يحصل في خلقه من الحوادث والكائنات إلا ما أرادَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإرادة الكونية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فكل خير وكل شر فهو بإرادة الله الكونية، فلا يخرج عن إرادته شيء، وهذا فيه رد على القدرية الذين ينفون القدر، ويزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، ويوجد فعل نفسه - تعالى الله عما يقولون -، وهذا تعجيز لله، وأنه يكون في خلقه ما لا يريده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا وصف له بالنقص، فجميع ما يكون في الكون من خير وشر فإنه بإرادته؛ فيخلق الخير لحكمة، ويخلق الشر لحكمة، فهو من جهة خلقه له ليس بِشَرٍّ؛ لأنه لحكمة عظيمة، ولغاية عظيمة، وهي الابتلاء والامتحان، وتمييز الخبيث من الطيب، والجزاء على الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لم يخلق ذلك عبثاً.



لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ^[١]، وَلَا يُشَبِّهُ الْأَنَامُ^[٢].

الشرح

[١] فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُحَاطَ بِهِ، فالله أعظم من كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، فالله سبحانه يُعلم، ولكن لا يُحَاطَ بِهِ، فالله أعظم من كل شيء، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٢] هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناها: الخلق، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزّه عن مشابهة الخلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، فهو سبحانه منزّه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في اللفظ والمعنى، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.



حَيَّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ^[١]،

الشرح

[١] حياته كاملة، لا يعترينا نقص ولا نوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فنفي عن نفسه السَّنة -وهي النوم الخفيف-، والنوم المستغرق^(١)، ونفي عن نفسه الموت لكمال حياته سبحانه^(٢).

والنوم والنعاس والموت نقص في الحياة، وهذه من صفة المخلوق، وحياة المخلوق ناقصة؛ فهو ينام، ويموت.

فالنوم كمال في حق المخلوق، نقص في حق الخالق؛ لأن المخلوق الذي لا ينام معتل الصحة، فهذا يدل على الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، والحي والقيوم: هاتان الصفتان مأخوذتان من قوله تعالى:

(١) فعن عَنِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفُضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». أخرجه مسلم (٢٩٣) (١٧٩).

(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ أَمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». أخرجه مسلم (٦٧) (٢٧١٧).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ الحي: الذي له الحياة الكاملة، والقيوم صيغة مبالغة.

القيوم هو: القائم بنفسه والمقيم لغيره، القائم بنفسه: فلا يحتاج إلى شيء، وغني عن كل شيء، المقيم لغيره: كل شيء فقير إليه، يحتاج إلى إقامته له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلولا إقامة الله للسموات والأرض والمخلوقات، لتدمرت وفنيت، ولكن الله يقيمها ويحفظها، ويمدها بما يصلحها.

فجميع الخلق في حاجة إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنَّ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].



خَالِقٌ بِلا حَاجَةٍ^[١]، رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ^[٢]، مُمِيتٌ بِلا خَافَةٍ^[٣]،

الشرح

[١] هو الذي خلق الخلق، وهو ليس بحاجة إليهم، إنما خلقهم لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فخلقهم لا حاجة إليهم؛ بأن ينصروه، أو ليعينوه، أو ليساعدوه - سبحانه -، أو ليحموه، إنما خلقهم لعبادته، وهم المحتاجون للعبادة؛ لتصلهم بالله وتربطهم بربهم، فالعبادة صلة بين العبد وربّه، فتقربه من الله، ويحصل بها من الله على الثواب والجزاء، فالعبادة حاجة للخلق، وليست بحاجة لله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

[٢] وقوله: (رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ)؛ أي: هو القائم بأرزاق عباده، ولا ينقص ذلك مما عنده.

[٣] أي: يميت الأحياء إذا كملت آجالهم، لا لأنه خائف منهم، ولكن ذلك لحكمته سبحانه وتعالى؛ لأن الحياة في الدنيا لها نهاية، وأما الآخرة، فليس للحياة فيها نهاية، فإماتتهم ليس خوفاً منهم، أو ليستريح منهم، ولو كانوا يكفرون به، فإنه لا يتضرر بكفرهم، وإنما يضرون أنفسهم، لكنه هو يفرح بتوبتهم؛ لأنه يحب ويريد لهم الخير، فهو يفرح بتوبتهم، وهو ليس في حاجة إليهم، إنما ذلك من لطفه وإحسانه.

بَاعِثٌ بِلاَ مَشَقَّةٍ [١].

الشَّرْح

[١] هذا من عجائب قدرته؛ أنه يमित الخلق، ويفنيهم حتى يتلاشوا ويصيروا ترابًا ورفاتًا، حتى يقول الجاهل: (لا يمكن أن يعودوا)، ولكن الله عَزَّجَلَّ يبعثهم من جديد، ويعيد خلقهم من جديد، وليس عليه في ذلك مشقة؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فالمشركون أنكروا البعث -استبعادًا منهم-؛ كما ذكر الله ذلك عنهم: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، أول مرة: ليس لها وجود أصلاً، فأوجدها من العدم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذي خلقها من العدم أليس بقادر على إعادتها من باب أولى؟ هذا في نظر العقول، وإلا فإن الله سبحانه لا يُقاس بخلقه، إنما ذلك لضرب المثل: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، فهذا ردُّ على هذا الجاحد، قال تعالى: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨]؛ نسي أنه في الأول لم يكن شيئًا، ولا وجود له: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، نسي أن الله أوجده من عدم.

فهو يجمع هذه العظام المتفرقة، واللحوم الممزقة، والتراب الذي تحلل، وهذه الشعور المتبعثرة يعيدها كما كانت، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهي نفخة البعث، فالأولى نفخة الصعق والموت، والثانية نفخة البعث:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾؛ أي: القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢].

فالله قادر على كل شيء، وهذا رد على الكفار الذين يُعجزون الله عن إحياء الموتى وإعادتهم كما كانوا.

قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿٢﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَا عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة: ٣-٤]، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

هذه قدرة الله وإرادته ومشيئته، لا يعجزه شيء، لكن بعض المخلوقين يقيس الله بخلقه؛ فيستبعد البعث؛ لأنه في نظره مستحيل، ولا ينظر إلى قدرة الله، ولم يقدر الله حق قدره، وهذا من الجهل بالله عزَّ وجلَّ.



مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ^[١]،

الشرح

[١] تقدم قول المصنف: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ)، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس قبله شيء، ومعنى ذلك: أنه متصف بصفات الكمال، فصفاته تكون أزلاً وأبدًا، فكما أنه أول بلا بداية، فكذلك صفاته، فإنها تكون تابعة له سبحانه، فهي أولية بأولية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلم يكن أولًا بلا صفات، ثم حدثت له الصفات بعد ذلك؛ كما يقوله أهل الضلال، الذين يقولون: لم تكن له صفات في الأزل، ثم كانت له صفات؛ لئلا يلزم على ذلك تعدد الآلهة - كما يزعمون - أو تعدد القدماء، وتكون الأسماء والصفات شريكة لله في أوليته. فنقول: يا سبحان الله! هذا يلزم عليه أن يكون الله ناقصًا - تعالى الله - في فترة، ثم حدثت له الصفات، وكمل بها - تعالى عما يقولون -، ولا يلزم من قدم الصفات قدم الأرباب؛ لأن الصفات ليست شيئًا غير الموصوف في الخارج، إنما هي معان قائمة بالموصوف، ليست شيئًا مستقلًا عن الموصوف، فإذا قلت - مثلًا -: (فلان سميع بصير، عالم فقيه، لغوي نحوي)، فهل معنى هذا أن الإنسان صار عددًا من الأشخاص؟! فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف؛ كما يقوله أصحاب الضلال.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس لصفاته بداية؛ كما أنه ليس لذاته بداية، فيوصف بأنه الخالق دائمًا وأبدًا.

وأما أفعاله سبحانه، فهي قديمة النوع حادثة الآحاد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متكلم قبل أن يصدر منه الكلام، وخالق قبل أن يصدر منه الخلق. وأما أنه يتكلم ويخلق، فهذه أفعال متجددة، وهكذا.

لَمْ يَزِدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ^[١]، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا
كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا^[٢]. لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتِفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ^[٣]،
وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةِ اسْتِفَادَ اسْمَ الْبَارِي^[٤].

الشرح

[١] أي: خلق الخلق. ولا نقول: لم يصِر خالقًا إلا بعد أن خلقهم، بل هو يسمى خالقًا من الأزل، لا بداية لذلك، أما خلقه، فهو متجدد.

[٢] كما أنه موصوف بصفاته أزليًّا؛ يعني: لا بداية لذلك، كذلك صفاته تلازمه -سبحانه- في المستقبل، فهو بصفاته أبدي لا نهاية له: «وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»^(١) باسمك وصفاتك، ولا يقال: (إن هذه الصفات تنقطع عنه في المستقبل)، بل هي ملازمة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٣] هذا توضيح وتكرار لما سبق.

[٤] من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: الباري؛ يعني: الخالق، برى الخلق؛ يعني: خلقهم، فهو الباري، وهذا الاسم ملازم لذاته ليس له بداية.



(١) سبق تخريجه (ص ٢٧).

لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ^[١].
وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الْأِسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ،
كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ^{(١)[٢]}.

الشرح

[١] كذلك هو رب قبل أن توجد المربوبات، والرب معناه: المالك والمتصرف والمصلح والسيد^(٢)، وهذه الصفات لازمة لذاته، يوصف بالربوبية بلا بداية ولا نهاية، قبل وجود المربوبات وبعد فناء المربوبات.

[٢] كما أنه - سبحانه - يوصف بكونه محيي الموتى في الأزل، وبأنه يحيي ويميت، ولا يكون هذا الوصف معدوماً حتى يكون أحيا الموتى، وإنما هذا له من القديم والأزل، وأما إحياء الموتى، فهذا متجدد؛ أحيا ويحيي سبحانه إذا شاء.



(١) انظر هذا البحث في: الصفدية (١/ ١٠-١١، ٢٢-٢٧، ٦٥)، ودرء التعارض (١/ ٣٦٣)، (٩/ ١٨٠-١٨٥)، ومنهاج السنة (١/ ١٥٨-١٥٩، ١٦٠-١٦١)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٥٤١، ١٢/ ٤٥، ١٦/ ٢٣٨)، وشرح العقيدة الطحاوية من (١٣٧-١٤٢).

(٢) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩، ١٨٠): (الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد المدبر والمربي والقيم والمنعم، ويقال: ربه يربه أي كان له رباً، ويقال: رب فلان ولده يربه رباً وربيه ورباه، كله بمعنى واحد). اهـ. بتصرف.
وانظر: تفسير الطبري (١/ ١٤٢-١٤٣).

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^[١]، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ^[٢]،

الشرح

[١] هذا وصف أزلي، لا يقال بأنه ما استفاد القدرة إلا بعد أن خلق وأوجد المخلوقات، بل القدرة صفة أزلية، وإنما كونه أوجد المخلوقات، فهذا أثر ناتج من كونه على كل شيء قدير.

والله هو الذي وصف نفسه بأنه على كل شيء قدير - من الموجودات ومن المعدومات -، لم يقيد قدرته بشيء معين، لا يعجزه شيء، ولا يجوز التقييد بأنه قدير على كذا، ولا يقال: (إنه على ما يشاء قدير)، إنما هذا خاص بجمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأهل السموات والأرض: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَائِبَةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، وهذه قضية معينة.

[٢] لا شيء يمكن أن يستغني عن الله؛ لا من الملائكة، ولا السماوات والأرض، ولا الجن ولا الإنس، ولا الجامدات من الجبال، ولا البحار، كل شيء فقير إلى الله: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فكل شيء إليه فقير، لا الأولياء ولا السماوات، ومن يُقَلُّ: (إن الأولياء لهم قدرة غير قدرة البشر، وإنهم يتصرفون في الكون، وإنهم ينفعون ويضرون من دون الله)، فذلك من قول الكفرة والمشركين،

فليس للأولياء والرسل والملائكة غنى عن الله ولا تصرف من دونه، وهذا مما يبطل عبادة غير الله من الأصنام ونحوها.

كيف تعبد أشياء فقيرة، وتنسى الذي بيده ملكوت كل شيء؟!

ولهذا لما قال بعض علماء القبورية لعامي من أهل التوحيد: (أنتم تقولون: إن الأولياء لا ينفعون ولا يضرّون)، قال: (نقول: إنهم لا ينفعون ولا يضرّون)، قال: (أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟)، قال: (وهل الله قال: يُرْزَقُونَ، أو يُرْزَقُونَ؟)، قال: (بل قال: يُرْزَقُونَ - بضم الياء)، قال: (إذن أنا أسأل الذي يرزقهم، ولا أسألهم)، فانخضم ذلك العالم بحجة العامي الذي هو على الفطرة.



وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ^[١]، لَا يَخْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ^[٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]^[٣].

الشرح

[١] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فهو يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويحيي الموتى بعد فنائهم، وذلك يسير عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يكلفه شيئاً، ولا يشق عليه، خلاف المخلوق؛ فإنه يتكلف بفعل الأشياء، أو يعجز عنها، أما الله، فليس شيء عليه صعباً: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

[٢] الله سبحانه غني عن كل شيء، فالله ليس بحاجة إلى الخلق؛ لأنه هو الغني، فهو الذي يعطي الخلق سبحانه.

[٣] هذا نفي للتشبيه عن الله سبحانه، والكاف لتأكيد النفي، مثل: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ [النساء: ٧٠] الأصل: وكفى الله عليماً، ولكن جاءت الباء للتأكيد.

وليس يشبهه شيء من الأشياء؛ لا الملائكة، ولا الأنبياء والرسل، ولا الأولياء، ولا أي مخلوق.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فسمى نفسه السميع البصير. فالآية في أولها رد على المشبهة، وفي آخرها رد على المعطلة، ودلت على أنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات التشبيه بالمخلوقات، فسمع وبصر المخلوقات لا يشبه سمع ولا بصر الله عَزَّجَلَّ.

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ^[١]، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا^[٢]، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا^[٣]،

الشَّرْحُ

[١] قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]،

فخلقه دليل على علمه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وقدرته؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَهُ، مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

[٢] قدر الله جَلَّ وَعَلَا المقادير، ولم يوجد هذه الأشياء بدون تقدير: ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، فكل شيء قدره الله بمقادير وكيفيات لا تختلف ولا تتغير، فالإنسان قدر الله جسمه وحواسه وأعضائه وتركيبه وأوزانه، حتى صار إنساناً معتدلاً، يمشي ويقف، ولو اختلف شيء من أعضاء هذا الإنسان أو من تراكيبه، اختلف الجسم، وكذلك سائر الكائنات: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، فلكل شيء مقادير ينضبط بها، ولكل شيء مقادير تختلف عن مقادير الآخر.

[٣] المخلوقات لها آجال ولها نهاية، قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١٦)

وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾. [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

كل شيء له عمر محدود، حدده الله سبحانه؛ إما قصير وإما طويل، قال

سبحانه: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، فالأعمار بيده سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يدل على كمال ربوبيته وكمال قدرته، فما شاء الله، كان، وما لم يشأ، لم يكن.

وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ^[١]، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ^[٢]، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ^[٣].

الشرح

[١] بل هو عالم بالأشياء قبل أن توجد، لا أنه لا يعلمها إلا بعد أن وُجدت.

[٢] علم ما يعمل العباد قبل خلقهم؛ أن هذا من أهل الطاعة، وهذا من أهل المعصية.

[٣] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، خلقهم أولاً، ثم أمرهم بعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو سبحانه أمرهم بطاعته وعبادته، مع أنه يعلم ما هم عاملون من قبل، ولكن الجزاء لا يترتب على العلم، وإنما الجزاء يترتب على العمل، فالله لا يعذب العبد بحسب العلم، إلا إذا وقع منه الذنب، ولا يكرم المحسن حتى يقع منه الفعل، فالجزاء مرتب على العمل، لا على العلم، ولا على القدر، ففرق بين العلم وبين الجزاء، ولذلك أمرهم الله ونهاهم، فمن أطاع الأوامر وترك النواهي، حصل على الثواب، ومن خالف الأوامر وارتكب النواهي، حصل على العقاب بأفعاله هو، لا بأفعال الله سبحانه، فالعبد هو المصلي والمزكي والحاج والمجاهد، فالأعمال تنسب إليه، لا إلى الله، إلا من جهة الخلق والعلم والتقدير والتوفيق.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ^[١]، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ، كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ، لَمْ يَكُنْ^[٢].

الشرح

[١] لا شك أن كل شيء بتقديره، لا يخرج عن تقدير الله من الخير والشر، والطاعة والمعصية، والكفر والإيمان، والمرض والصحة، والغنى والفقر، والعلم والجهل، كل شيء يجري بتقديره، وليس في ملكه شيء لم يقدره ولا يريده.

[٢] الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ مَشِيئَةٌ، والعباد لهم مشيئة، ولكن مشيئة العباد مرتبة على مشيئة الله، وليست مستقلة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فجعل لنفسه مشيئة هي من صفاته، وجعل لعباده مشيئة هي من صفاتهم، وربط مشيئتهم بمشيئته سبحانه، وفي هذا رد على القدرية والجبرية: فالقدرية ينفون مشيئة الله لأفعال العباد، ويجعلون للعبد مشيئة مطلقة، وأن العبد مستقل بأفعاله وإرادته ومشيئته، هذا مذهب القدرية من المعتزلة^(١) وغيرهم.

(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

والجبرية^(١) يقولون: العبد ليس له مشيئة، وإنما المشيئة لله فقط، والعبد يتحرك بدون اختياره ولا إرادته؛ مثلما تحرك الآلة.

فطائفة غلت في إثبات مشيئة الله، وطائفة غلت في إثبات مشيئة العبد. وأما أهل السنة والجماعة، فأثبتوا المشيئتين، وجعلوا مشيئة العبد مربوطة بمشيئة الله؛ أخذًا من الآيتين السابقتين، فقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ فيه إثبات مشيئة العباد، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فيه إثبات مشيئة الله جَلَّ وَعَلَا، وفي الآية أن مشيئة العبد ليست مستقلة، وإنما هي مربوطة بمشيئة الله؛ لأنه خلق من خلق الله؛ خلقه، وخلق مشيئته، وخلق إرادته، ولهذا في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، قَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟» أي: شريكًا في المشيئة، «بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَدَهُ»^(٢)، ولما بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن

= وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة. انظر: الملل والنحل (٣٠ / ١ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (١٤٢ / ٥)، وسير أعلام النبلاء (٥ / ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٨ / ٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

(١) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٨)، والملل والنحل (٨٥ / ١)، والتعريفات (ص ١٠١).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٧٥٩)، وابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد في المسند (٣ / ٣٣٩)، والبيهقي في الكبرى (٣ / ٣٠٧)، وفيه: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلًا...». وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١٢ / ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٩٩)، وفيه: «جَعَلْتُ لِلَّهِ نِدًّا...».

قومًا يقولون: (ما شاء الله، وشاء محمد)، أنكر ذلك: «وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ»^(١)، فجعل مشيئته مرتبة على مشيئة الله «بثم» التي تفيد الترتيب والتراخي، لا بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٦٩٦) عَنْ قُتَيْبَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ».

وأخرج ابن ماجه (٢١١٨) وأحمد في المسند (٢٩٧ / ٣٤) عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَا تُنْتِمُ الْقَوْمَ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَا تُنْتِمُ الْقَوْمَ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَا تُنْتِمُ الْقَوْمَ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَا تُنْتِمُ الْقَوْمَ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا وَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ فَلَنْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُخْذِلُ وَيَبْتَلِي
عَدْلًا [١].

الشرح

[١] الله سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، ولكنه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية ويُقبل عليها، فإن الله ييسره ليسرى. ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، فيضله الله؛ عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ﴾ [الليل: ٥-٧]، فصار السبب من العبد، والقدر من جهة الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلْ وَاسْتَغْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ ۖ﴾ [الليل: ٨-١٠]، فصار السبب من العبد، والقدر من الله جلَّ وعَلَا، ولكن قدره الله عقوبة له.

فقدر الله الهداية فضلاً من الله جلَّ وعَلَا، وتكرم على الشخص الذي يريد الخير ويريد الهداية، فييسره الله للخير ولفعله، وهذا لمصلحته، لا لمصلحة الله جلَّ وعَلَا، وأما إضلال الضالين، فعُدل منه سبحانه وتعالى؛ جزاء لهم على إعراضهم وعدم إقبالهم على الخير وعلى طاعة الله جلَّ وعَلَا، لم يظلمهم شيئاً، ولهذا نجد في الآيات: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]،

فجعل الظلم والكفر والفسق أسباباً لعدم الهداية، وهذه من أفعال العباد، جازاهم عليها؛ عدلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا ظُلماً: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]، فلا يليق به سبحانه أن يكرم من هذا وصفه، وأيضاً لا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُضيع عمل العاملين، قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢]، ﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، هذا جور ينزه الله عنه، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُضيع أجر من عمل صالحاً، ولا يجازي أحداً بغير فعله، وبغير كسبه: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٩] فالعمل كله للعبد - من الخير والشر -، والمجازاة من الله؛ فضلاً وعدلاً.



وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ^[١]. وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ
وَالْأَنْدَادِ^[٢].

الشرح

[١] وكل العباد لا يخرجون عن القلب في مشيئة الله بين فضله على أهل الطاعة وأهل الخير، وعدله مع أهل الكفر والشرك، وهذا هو اللائق بحكمته وعظمته سبحانه، فلا يجمع بين المتضادات والمختلفات، بل ينزل الأشياء في منازلها، ولهذا من أسمائه: الحكيم، ومن صفاته: الحكمة؛ الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها، فيضع الفضل في أهل الطاعة، ويضع العذاب في أهل الكفر والمعاصي، هذا فضله سبحانه وعدله.

[٢] (مُتَعَالٍ)؛ أي: مرتفع بذاته وقدره وقهره عن الأضداد والأنداد، فالأنداد: هم الأمثال والشبهاء والنظراء، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له نظير، وليس له مثل ولا شبيه، فلا أحد يشارك الله، ولا يشابهه ولا يساويه جَلَّ وَعَلَا، وهذا من علو قدره وقهره، وهو العلي بذاته فوق مخلوقاته.

أما الأضداد: فهم المعارضون له، فالله ليس له معارض، ولا يضاده أحد من خلقه؛ فإنه إذا أراد أمراً، فلا يمكن لأحد أن يعترض ويمنع أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا أراد إعطاء، فلا أحد يمنع، وإذا أراد منعاً لشيء، فلا أحد يعطيه: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»^(١).

(١) عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: «أَمَلَى عَلَيَّ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ: =

قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

فلان الله، ولا ضد له فيما يأمر به وينهى عنه، خلاف المخلوقين؛ فيوجد من ينازعهم، ويقف ضد تنفيذ أوامرهم، فالمخلوقات كلها لها مشارك، فالخلق يتشابهون في العلم والاسم وفي كل شيء - في الأجساد والصفات -، ويشتركون في الأفعال والأملأك، والله سبحانه لا يشبهه أحد، ولا يشاركه أحد.



= أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دُبر كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد». أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (١٣٧) (٥٩٣).

لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ^[١]، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ^[٢]. آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيُّقِنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ^[٣].

الشرح

[١] فالله ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ. وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، فالله عَزَّوَجَلَّ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا، فلا يستطيع أحد أن ينقضه أو يرده، بخلاف المخلوق؛ فقد يعطل تنفيذ حكمه، وقد يُنقض.

[٢] (وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ): وإذا أمر بالشيء، لا أحد يغلب أو امره الكونية، أما أو امره الشرعية، فقد تُعطل، وقد تُخالف، وهذه للابتلاء والامتحان؛ ليرتب على ذلك الثواب أو العقاب.

[٣] كل ما سبق ذكره - من أول العقيدة إلى آخرها - ندين لله به، وليس مجرد كلام بألسنتنا، بل هو من قلوبنا.



وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى^(١)، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى^(٢) [١]،

الشَّرْح

[١] لما بين الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي أَوَّل كَلَامِهِ مَا يَجِبُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ الرَّبُّ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَعَوَاتِ الْجَلَالِ، الَّتِي هُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا، لَمَّا بَيْنَ هَذَا وَوَضَحَهُ، انْتَقَلَ إِلَى مَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى) هذا عطف على أول الكلام: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.... إِلَى آخِرِهِ)، ثم قال: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا... إِلَى آخِرِهِ)، فلا بد من اعتقاد هذا؛ كما نشهد لله بالألوهية، كذلك نشهد للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، ولذلك فالشهادتان دائمتان متلازمتان.

(١) انظر: التعاريف للمناوي (ص ٣٠٧)، والقاموس المحيط (٣/ ٣٧٢) مادة (نبا)، ولسان العرب (١/ ١٦٣).

(٢) انظر: التعاريف للمناوي (ص ٣٦٣)، والقاموس المحيط (٤/ ٣٨٥) مادة (رسل)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «النبوات» (ص ٢٨١): (فالنبي هو الذي ينبت الله، وهو ينبت بما أنبأ الله به، فَإِنْ أُرْسِلَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ لِيَبْلُغَهُ رِسَالَةٌ مِنْ اللَّهِ إِلَيْهِ فَهُوَ رَسُولٌ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ قَبْلَهُ وَلَمْ يُرْسَلْ هُوَ إِلَى أَحَدٍ يَبْلُغُهُ عَنْ اللَّهِ رِسَالَةً فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ) اهـ. وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٤)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

(وَإِنْ مُحَمَّدًا)، هذا اسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشهور به، وقد جاء في القرآن: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي قوله: ﴿وَمَا تُمْنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [حمد: ٢]، وفي قوله تعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]، وجاء أحمد في القرآن في قوله تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وله أسماء جاءت في السنة، ذكرها ابن القيم في كتابه: «جلاء الأفهام»^(١). والتعرف على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من واجبات الدين ومن أصول الإسلام، وقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «ثلاثة الأصول»: (الأصل الأول: معرفة الله، والثاني: معرفة نبيه، والثالث: معرفة دين الإسلام بالأدلة)^(٢).

كما يجب عليك معرفة الله كذلك يجب عليك معرفة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، فهذه أصول ثلاثة، وهي التي يسأل عنها الميت إذا وضع في قبره.

وقوله: (عَبْدُهُ)، فهو عبد الله عَزَّوَجَلَّ، وليس له من الألوهية شيء، ولا من الربوبية شيء، وإنما هو عبد الله ورسوله، مؤتمر بأوامره، منتبه عن نواهيه، مبلغ عن الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا فيه رد على الغلو فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن

(١) انظر: جلاء الأفهام (ص ١٧١)، وزاد المعاد (١/ ٨٤ - ٩٤).

(٢) انظر: ثلاثة الأصول مع شرحها للمؤلف - حفظه الله - (ص ١٦ - ٢٢).

هناك من يغلون في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجعلون له شيئاً من الربوبية أو الألوهية، ويدعون مع الله، وهذا غلو -والعياذ بالله-؛ كما غلت النصراني في المسيح عيسى ابن مريم، وقالوا: إنه ابن الله، أو الله، أو ثالث ثلاثة.

ففي قوله: (عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى) ردُّ للغلو، فهو عبد، وكل من في الأرض والسموات عبيد لله عَزَّوَجَلَّ، قال سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فالملائكة عبيد: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٣٦) لَا يَسْئِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ -وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، والأنبياء والرسل عبيد؛ كما قال سبحانه في نوح عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩]، وقال في داود عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، وقال في سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وقال في أيوب: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١]، وقال في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، فإذا كان الأنبياء والرسل والملائكة عبيد لله، وهم أشرف الخلق، فغيرهم من الأولياء والصالحين من باب أولى.

وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو آخر الأنبياء، وسماه الله عبداً في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] يعني: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ومقام العبودية هو أعلى المقامات، ولا شيء أشرف من العبودية لله جَلَّوَعَلَا.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^(١).

ومعنى: (المُصْطَفَى): المختار؛ من الاصطفاء، وهو الاختيار، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ ﴿٤٧﴾ [ص: ٤٥-٤٧]، المصطفين: جمع مصطفى، وهو المختار، أصله مصطفى، ثم أبدلت التاء طاء، فصارت مصطفى؛ ليسهل النطق بها.

فالمصطفى هو المختار؛ لأن الله سبحانه اختار محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرسالة من بين قومه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فلا يختار إلا من يعلم أنه يستحق الاختيار، وأنه يقوم بالمهمة؛ لأن هذه المهمة صعبة وعظيمة، فلا يختار الله إلا من هو لها أهل، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

و(المُجْتَبَى): بمعنى المصطفى.

والنبي: من أوحى إليه الله بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحى إليه بشرع، وأمر بتبليغه، وهذا أشهر ما قيل في الفرق بين النبي والرسول، ومعنى: أُمِرَ بتبليغه؛ أي: أُمِرَ بالزام الناس، وأن يقاتلهم على ما جاء به^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: (ص ٥١).

وكذلك النبي، يُوحى إليه، ويدعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن يتبع من قبله من الأنبياء، ويمشي على طريق من قبله، ولا ينفرد بشريعة خاصة، مثل: أنبياء بني إسرائيل، جاءوا بالتوراة، ودعوا إلى التوراة التي أنزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

و(الْمُرْتَضَى) بمعنى المجتبي والمصطفى، فالمرتضى بمعنى: أن الله ارتضاه.



وَأِنَّهُ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ ^(١)، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ^(٢)، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٣) [١].

الشرح

[١] هذه من صفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في المسند (٢٧٨/٥)، والحاكم في المستدرک (٤٩٦/٤) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح)، وأصل حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم (٢٨٨٩): «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد في المسند (٢/٣) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ». وجاء من حديث ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وواثلة بن الأسقع، وأنس، وعائشة، وعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فيه «وَلَا فَخْرَ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي (٤٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠٣/١) لابن مردويه، ثم قال عقبه: (هذا حديث غريب من هذا الوجه، وله شواهد من وجوه أخرى). والله أعلم. اهـ. ولفظ الدارمي: «إِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اضْطَفَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ...» الحديث.

الاقتصار على مرتبة المحبة العامة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه قصور؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو حبيب رب العالمين، وهو خليل رب العالمين أيضًا، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام خليل الرحمن؛ كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وكذلك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الله؛ كما ثبت ذلك في السنة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا». أخرجه البخاري (٤٦٧، ٣٦٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه بهذا اللفظ مسلم (٢٣٨٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ)، ومعنى (خَاتِمٌ): الذي لا يأتي بعده نبي، وختام الشيء هو: الذي يُجعل عليه؛ حتى لا يزداد عليه، ولا ينقص منه^(١)، فالله ختم الرسالات بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال -جل في علاه-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلاحاجة لمجيء نبي بعده؛ لأن القرآن موجود، والسنة النبوية موجودة، والعلماء الربانيون موجودون، يدعون إلى الله، ويبصرون الناس؛ فدين محمد باقٍ إلى قيام الساعة، لا يبدل، ولا ينسخ، ولا يغير؛ لأن الله سبحانه جعله صالحاً لكل زمان ولكل مكان، أما شرائع الأنبياء السابقين، فتكون مؤقتة لأهمهم في فترة من الفترات، ثم ينسخ الله تلك الشريعة بشريعة أخرى تتناسب مع الأمة الأخرى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]؛ أي: لكل كتاب أجل.

فدين الإسلام كامل، لا يحتاج بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رسول، والعلماء ورثة الأنبياء^(٢)، فمن اعتقد أنه يأتي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي، فهو كافر بالله

(١) انظر: العين (٤/ ٢٤١)، وتهذيب اللغة (٧/ ١٣٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٤٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ».

خارج من الملة، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يأتي كذبة يدعون النبوة من بعده، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١).

فمن ادعى النبوة، أو ادعت له النبوة، ومن اتبعهم، فكلهم كفر، وقد قاتلهم المسلمون، وكفروهم، وآخر من ادعى النبوة في الوقت الحاضر: القادياني الباكستاني، الذي ادعى النبوة، له أتباعه القاديانية^(٢).

ويُسمون بالأحمدية؛ نسبة إلى اسمه؛ لأن اسمه أحمد القادياني، وقد كفره العلماء، وطرده من البلاد الإسلامية، وكفروا أتباعه؛ لأن هذا تكذيب لله ولرسوله، وتكفيرهم بإجماع المسلمين، لم يخالف في هذا أحد.

(١) سبق تحريجه (ص ٥٦).

(٢) هي فرقة نشأت عام ثمانية عشر وثلثائة وألف في شبه القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، ورأس هذه الفرقة هو ميرزا غلام أحمد القادياني، المولود في قرية قاديان في البنجاب بالهند سنة ١٢٥٥ هـ، كان معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات، وله أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالات، على هذا المعتقد الخبيث، منها: «إزالة الأوهام»، و«إعجاز أحمدي»، و«براهين أحمدية»، و«أنوار الإسلام»، وغيرها، وقد هلك بالطاعون في سنة ١٣٢٦ هـ.

ويعيش معظم القاديانيين الآن في الهند وباكستان، ومن معتقدهم الخبيث أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - كما يعتقدون أن النبوة لم تُنتم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هي جارية، وأن الله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً، وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية.

وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلثائة وألف أصدر مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة، قراره الذي أعلن فيه كفر هذه الطائفة وخرجها عن الإسلام. انظر: القاديانية لإحسان إلهي ظهير، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شبيرة الحمد.

فلا بد للمسلم أن يعتقد أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأتقياء؛ يعني: القدوة الوحيد للأتقياء الذين يتقون الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

أما غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقتدى به، إن كان يقتدي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما من خالف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز الاقتداء به: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا طريق إلى الله إلا باتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به.

(وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ)، هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»^(١)، أخبر الأمة بذلك من باب الشكر لله عَزَّجَلَّ، ولتشكر الأمة ربها عَزَّجَلَّ على هذه النعمة؛ أن جعل رسولها سيد الرسل.

(وَسَيِّدٌ) معناه: المقدم والإمام، فهو أفضل الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإمامهم ومقدمهم.

(وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، هذه العبارة فيها مؤاخذه؛ لأنه لا يكفي قوله: حبيب، بل هو خليل رب العالمين؛ والخلة أفضل من مطلق المحبة؛ فالمحبة درجات، أعلاها الخلة، وهي خالص المحبة، ولم تحصل هذه المرتبة إلا لاثنتين من الخلق: إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]،

(١) سبق تخريجه (ص ٥٦).

ونبيناً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أخبر بذلك، فقال: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»^(١)، فلا يقال: حبيب الله؛ لأن هذا يصلح لكل مؤمن، فلا يكون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا ميزة، أما الخلّة، فلا أحد يلحقه فيها.



(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) (٦) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» يعني نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعند البخاري (٤٦٦) بلفظ: «وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ».

وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ، فَغَيَّ وَهَوَّى ^[١]. وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ ^(١)،
وَكَافَّةِ الْوَرَى ^(٢)، بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ ^[٢].

الشَّرْح

[١] هذا سبق في معنى أنه خاتم النبيين، فكل دعوى للنبوّة بعده فباطلة وكفر؛ لأنه لا يأتي بعد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي، وعيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما ينزل آخر الزمان، فإنه لا يأتي على أنه نبي ورسول، أو يأتي بشريعة جديدة، إنها يأتي على أنه مجدد لدين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومتبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحكم بالشريعة الإسلامية.

[٢] كذلك، هذا ما يجب اعتقاده في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يكفي أن نعتقد أنه رسول الله فقط، بل أنه رسول إلى الناس عامة، بل إلى الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]،

(١) قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/ ١١٧): (ولا يختلفون أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولٌ إلى الإنس والجن، نذيرٌ وبشيرٌ، هذا مما فضل به على الأنبياء أنه بُعث إلى الخلق كافة - الجن والإنس - وغيره لم يُرسل إلا بلسان قومه) اهـ.

وقال ابن حزم في «الفصل في الملل» (٣/ ١٤٧): (وأما الجن فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث إليهم بدين الإسلام، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة) اهـ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». وثبت أيضاً في الصحيح أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ». أخرجه مسلم (٥٢١).

وقال له: ﴿قُلْ يَكَايَهُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فرسالته إلى الناس عامة، وهذا من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو رسول للناس عامة، ووجبت طاعته على جميع الخلق -عربهم وعجمهم، وأسودهم وأبيضهم، وإنسهم وجنهم-، فكل من بلغته دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجب أن يطيعه وأن يتبعه، فمن أقر أنه رسول الله للعرب خاصة -كما يقوله طائفة من النصارى؛ أنه رسول الله للعرب خاصة، وينكرون نبوته لغيرهم-، فهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وتكذيب لله جَلَّ وَعَلَا ورسوله، فالله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ويقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، فرسالته عالمية.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعثَ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

وكتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام^(٢)، فدل على أنه مرسل إلى أهل الأرض كلهم، وأمر بالجهاد حتى يدخل الناس في الإسلام، فدل على عموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب اعتقاد هذا.

فتجب في حقه هذه الاعتقادات:

أولاً: أنه عبد الله ورسوله.

ثانياً: أنه خاتم النبيين، لا نبي بعده.

ثالثاً: أن رسالته عامة للإنس والجن.

(١) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

(٢) انظر: زاد المعاد: (فَصَّلٌ فِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ) (١/١١٦).

ودليل عمومها للإنس: كما سبق من الآيات ومكاتبة النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما عمومها للجن: فلقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ۖ﴾ (٢٩) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴿٣١﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١]؛ يعنون: محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ﴾ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ ﴿٢﴾ [الجن: ١-٢]، فدل على عموم رسالته للجن، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث لأهل الأرض كلهم، إنسهم وجنهم، فمن آمن به، دخل الجنة، ومن لم يؤمن به، دخل النار، من الإنس والجن.

وقوله: (وَبِالنُّورِ وَالضُّيَاءِ) هما بمعنى واحد، وقد بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهما. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].



وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ^[١]،

الشرح

[١] بعد أن تؤمن بالله جَلَّوَعَلَا، وتؤمن برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تؤمن أن القرآن كلام الله؛ لأن هذا هو الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنزل الله عليه القرآن، وهذا القرآن ليس من كلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا من كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، إنما هو كلام الله جَلَّوَعَلَا، تكلم الله به، وتلقاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام من الله، وتلقاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، وتلقته الأمة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهو كلام الله، منه بدأ سبحانه، لم يأخذه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام من اللوح المحفوظ - كما يقوله أهل الضلال -، ولم يكن من كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، ولا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما هو من كلام رب العالمين.

وأما جبريل ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، فهما مبلغان عن الله عَزَّوَجَلَّ، فالكلام إنما يقال ويضاف لمن قاله مبتدئاً، لا من قاله مبلغاً ومؤدياً.

فمن قال: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَام أخذ من اللوح المحفوظ، أو: إن الله خلقه في شيء وأخذه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام من ذلك الشيء، فهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ كفرًا مخرجًا من الملة - كما تقوله الجهمية، والمعتزلة ومن نحا نحوهم -، فهو كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به كيف شاء.

فنحن نصف الله بأنه يتكلم، والكلام من صفاته الفعلية، والكيفية التي
تكلم بها نقول: الله أعلم بها، هذه كسائر صفاته، نؤمن بها، ولا نعلم كيفيتها،
فالمعنى معروف، وأما الكيفية، فهي مجهولة لنا.



مِنْهُ بَدَأَ بِلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا^(١)، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحِيًّا^[١]،

الشرح

[١] أي: أن القرآن نزل من الله، تكلم الله به، وأنزله، لم ينزل من غيره، ولم يبدأ من غيره، ليس كما يقولون: (إنه بدأ من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو من اللوح، أو من الهواء)، إنما بدايته من الله، وسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبلغه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحيًّا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغه للناس، ولو كان هذا القرآن من كلام البشر، لاستطاع أحد من الناس أن يأتي بسورة من مثله، فلما عجزوا عن ذلك، دل على أنه من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، فعجزهم الله بذلك، مع أنهم عرب فصحاء، والقرآن بلغة العرب، وبالحروف التي يتكلمون بها، وهم يحرصون على معاندة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان باستطاعتهم أن يعارضوا هذا القرآن، لما ادخروا وسعًا في ذلك، فلما عجزوا عن ذلك، دل على أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) انظر: «صريح السنة» للطبري (ص ١٩)، و«الرد على الجهمية» للدارمي (ص ١٨٩)، و«السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٥٨)، و«أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٥١)، و«التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ١٨٦)، و«لمعة الاعتقاد» (ص ١٦)، ورسالة «اختصاص القرآن بعبوده إلى الرحمن الرحيم» لعبد الواحد المقدسي، و«العلو» للذهبي (ص ١٣٨)، و«منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٥٣).

وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا^[١]،

الشرح

[١] فالمؤمنون بالله ورسوله يصدقون بأن القرآن كلام الله عَزَّجَلَّ، وأن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو مبلغ عن الله.

وأما قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، فالمراد بإسناده إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو من باب التبليغ؛ لأنه لا يمكن أن يكون القرآن من كلام الله ومن كلام جبريل، الكلام لا يكون إلا من واحد، فلا يمكن وصفه بأنه كلام أكثر من واحد، ونسبته إلى الله حقيقية، وأما نسبته لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمن باب التبليغ.

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُ ۝﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]؛ يعني: محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالإضافة إليه إضافة تبليغ. وقد أضافه سبحانه تارة إلى نفسه، وتارة إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتارة إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والكلام الواحد لا يمكن أن يتكلم به أكثر من واحد. فتكون إضافته إلى الله إضافة ابتداء، وهو كلامه، وإضافته إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إضافة تبليغ.



وَأَيُّقُنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ^[١]،

الشرح

[١] ليس بالمجاز؛ كما يقوله الجهمية والمعتزلة، هم يقولون: (كلام الله، ولكن نسبته إلى الله مجاز؛ لأن الله خالقه، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه).

فنقول: كذبتهم؛ لأن الإضافة إلى الله على نوعين: إضافة معانٍ، وإضافة أعيان:

النوع الأول: إضافة المعاني إلى الله مثل الكلام، إضافة المعاني إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، فالكلام والسمع والبصر والقدرة والإرادة إضافة صفة إلى موصوف؛ لأن هذه معانٍ لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بالموصوف بها.

النوع الثاني: إضافة أعيان، مثل: بيت الله، ناقة الله، عبد الله. هذه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفائدة الإضافة هنا التشريف والتكريم.



لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ^[١].

الشرح

[١] أي: كلام الله ليس بمخلوق؛ ردًا على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: (إن القرآن مخلوق)؛ لأن الله عندهم لا يتكلم، على منهجهم في نفي الصفات كلها؛ فرارًا -بزعمهم- من التشبيه؛ لأنهم لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، ففروا من التشبيه الموهوم، ووقعوا في التعطيل المذموم، وهو شر منه، كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولو أنهم أثبتوا ما أثبتته الله لنفسه، وعرفوا أن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، لأصابوا عين الحق، واستراحوا وأراحوا الناس، ولكنهم في ضلال.



فَمَنْ سَمِعَهُ، فَرَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ^[١]، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ،
وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرٍ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ [المدثر: ٢٦]^[٢]،

الشرح

[١] فمن سمع كلام الله، وزعم أنه كلام البشر، فقد كفر؛ لأنه جحد كلام الله عَزَّجَلَّ، فإذا لم يكن لله كلام ينزله على عباده، فبم تقوم الحجة عليهم؟ فقصدهم بقولهم هذا هدم الشرائع، فإذا كان ليس في الكون كلام الله - لا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا القرآن -، فمعنى ذلك: أنه ما قامت على الناس الحجة من الله، وهذا من أعظم الكفر وأعظم الضلال.

[٢] وقد ذم الله عَزَّجَلَّ من قال هذه المقالة، فجعل القرآن كلام البشر؛ كما قال الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو من أكابر كفار مكة ومن عظمائهم، وكانوا يسمونه: زهرة مكة؛ لشرفه فيهم، فلما سمع القرآن من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعجبه، وعلم أنه ليس من كلام البشر، ومدح القرآن، فقال: (ليس بالشعر، وليس بالسحر، أنا أعرف ضروب الشعر، وأعرف أنواع السحر، وأعرف الكهانة، وأعرف وأعرف...، فليس القرآن من هذه الأمور)^(١)، فعند ذلك توجه إليه قومه الكفار بالتوبيخ والتعنيف؛ لأن

(١) قال الوليد بن المغيرة: (وَاللَّهُ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِالشَّعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهُ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ إِنَّا لَقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ: حَلَاوَةٌ وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنَّهُ لَثَمَرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو =

معنى هذا أنه اعترف للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، فلما رأى ذلك، انحرف -والعياذ بالله- بالكلام، فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٥]، فأنزل الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ١٨-٢٥]، قال عَزَّجَلَّ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدر: ٢٦]، وهي النار.



= وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيُحَطَّمُ مَا تَحْتَهُ). أخرج الحاكم (٢/ ٥٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٧)، وانظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٥٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٤).

فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المذثر: ٢٥]، عَلِمْنَا وَأَيَقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ^[١]، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ^[٢].

الشرح

[١] فمن قال: (إن القرآن ليس كلام الله، وإنه كلام البشر، أو الملك)، فهو مثل الوليد بن المغيرة، فما الفرق بين هذا وهذا إلا أنه ادعى الإسلام، والوليد لم يدع الإسلام؟ فدعوى الإسلام لا تكفي، فإنه إن كفر بالقرآن، لم ينفعه ادعاء الإسلام؛ لأن هذا ردة - والعياذ بالله -.

فتبين بهذا أنه لا بد من الاعتراف بأن القرآن كلام الله حقيقة.

[٢] لو كان الكلام من كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا لوم على الوليد بن المغيرة إن قال: (إن القرآن من كلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فكيف يتوعدده الله بهذا الوعيد الشديد؟ فدل على أنه قال مقالة عظيمة وفظيعة؛ حيث نسب القرآن لغير الله، وكل من سار على هذا المذهب وهذا المنهج، فإنه مثل الوليد بن المغيرة، يكون في النار خالداً فيها.



(١) انظر هذا البحث في: خلق أفعال العباد للبخاري (٢٩ - ٦١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٠٢/١ - ٢٨٠)، والإبانة للأشعري (٦٣ - ٨٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي (١/٢٤١ - ٤٠٦).

وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ^[١]، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا
اعْتَبَرَ^[٢]، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ أَنْزَجَرَ^[٣]، وَعَلِمَ أَنَّهِ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ^[٤].

الشَّرح

[١] يعني: من شبه الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر؛ لأنه تنقص الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢] لأن هناك فرقاً واضحاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وإن اشتركت في الاسم والمعنى، ولكن تختلف في الحقيقة، وتختلف في الواقع والخارج، فلا تشابه بين كلام الله وكلام البشر، ولا تشابه بين سمع الله وسمع البشر، ولا تشابه بين بصر الله وبصر البشر، ولا علم الله وعلم البشر، ولا مشيئة وإرادة الله ومشيئة وإرادة البشر.

ففرق بين صفات الله وصفات المخلوق، فمن لم يفرق بينهما، صار كافراً.

[٣] من تدبر الآيات القرآنية التي أنزلها الله في الوليد بن المغيرة، من تدبرها، عرف بطلان أقوال هذه الفرق الضالة في كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

[٤] صفاته - من الكلام وغيره - ليست كصفات البشر؛ للفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق.



وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ^[١]،

الشرح

[١] الرؤية: أي: رؤية المؤمنين لربهم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن المؤمنين يرون ربهم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخرة، يرونه عياناً بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر^(١)، وكما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحب^(٢)؛ كما أخبر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال المصنف: (وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ)؛ أي: ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، ولم يخالف فيها إلا المبتدعة وأصحاب المذاهب المنحرفة.

فالمؤمنون يرون ربهم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وهي وجوه المؤمنين، ﴿نَاضِرَةٌ﴾ يعني:

(١) كما في حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرُ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي الْبَدْرَ- فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَافُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].»

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ...».

من النظرة، وهي: البهاء والحسن، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وأما ﴿نَاطِرَةٌ﴾، فمعناها: المعاينة بالأبصار، تقول: نظرت إلى كذا؛ أي: أبصرته، فالنظر له استعمالات في كتاب الله عزَّجَلَّ، إذا عُدِّي بـ ﴿إِلَى﴾، فمعناه المعاينة بالأبصار: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ...﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨]؛ أي: ألم ينظروا بأبصارهم إلى هذه المخلوقات العجيبة الدالة على قدرة الله عزَّجَلَّ؟!

وفي هذه الآية: ﴿نَاطِرَةٌ﴾ معداة بـ ﴿إِلَى﴾، وإذا عُدِّي النظر بنفسه وبدون واسطة، فمعناه: التوقف والانتظار: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُتَفَقِّتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُورِهِمْ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿انظُرُونَا﴾؛ أي: انتظرونا من أجل أن نستضيء بنوركم؛ لأن المنافقين ينطفئ نورهم -والعياذ بالله-، فيبقون في ظلمة، فيطلبون من المؤمنين أن ينتظروهم؛ حتى يقتبسوا من نورهم. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: ما ينتظرون إلا مجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده.

وإذا عُدِّي النظر بـ (في)، فمعناه التفكير والاعتبار؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]؛ أي: يتفكروا في مخلوقات الله العلوية والسفلية، ويستدلوا بها على قدرة الله الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واستحقاقه للعبادة.

الحاصل: أن النظر هنا عُدِّي بـ ﴿إِلَى﴾، ومعناه: الرؤية والمعاينة.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦]، فسر

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الحسنى» بأنها الجنة، وفسر «الزيادة» بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا في صحيح مسلم^(١).

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، المزيد: هو النظر إلى وجه الله الكريم^(٢).

وقال تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا كان الكفار محجوبين عن الله؛ أي: لا يرونه؛ لأنهم كفروا به في الدنيا، فهم محجوبون عن النظر إليه يوم القيامة، وهذا أعظم حرمان وأعظم عذاب -والعياذ بالله-^(٣)، فدللت الآية على أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن الله يوم القيامة، وأنهم يرونه بالنظر إليه في الآخرة؛ لأنهم آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، وإنما استدلوا عليه سبحانه بآياته ورسالاته، فالله أكرمهم بالنظر إليه يوم القيامة، والنظر إلى وجه الله عَزَّجَلَّ أعظم نعيم في الجنة.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه بعض أدلتهم من القرآن.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّجَلَّ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/٤٥٤)، وزاد المسير (٤/١٦٤)، والقرطبي (١٧/٢١)، وابن كثير (٧/٤٠٧).

(٣) قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّحُطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا). انظر: تفسير الثعلبي (١٠/١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٩/٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/٤٢٩).

وأما أدلتهم من السنة، فكثيرة جدًا، بلغت حد التواتر؛ كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، وساق الأحاديث الواردة في الرؤية، وقد بلغت حد التواتر^(١).

منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»، أو: «لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(٢)؛ يعني: لا تزدهمون على رؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن كل واحد يرى الرب وهو في مكانه من غير زحام؛ كما أن الناس يرون الشمس والقمر من غير زحام؛ لأن العادة إذا كان الشيء في الأرض وخفي، يزدهمون على رؤيته، ولكن إذا كان الشيء مرتفعًا كالشمس والقمر، فإنهم لا يزدهمون على رؤيته، كل يراه وهو في مكانه، إذا كان هذا في المخلوق الشمس والقمر، فكيف في الخالق سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ولم ينكر الرؤية إلا أهل البدع -كالجهمية والمعتزلة-، الذين ينفون الرؤية، يقولون: يلزم من إثبات الرؤية أن يكون الله في جهة، والله عندهم ليس في جهة، وهو عندهم لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمتنة ولا يسرة، ليس في جهة، وهذا معناه: أنه معدوم -تعالى الله عما يقولون-، فنفوا الرؤية من أجل هذا الرأي الباطل.

وأما الأشاعرة: لما لم يمكنهم إنكار الأدلة من الكتاب والسنة، أثبتوا الرؤية، وقالوا: يُرى، ولكن ليس في جهة، وهذا من التناقض العجيب!

(١) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٨٥ - ٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه (ص ٧٤).

ليس هناك شيء يُرى وهو ليس في جهة، ولذلك رد عليهم المعتزلة؛ لأن هذا من المستحيل، وأهل السنة يقولون: يُرى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو في جهة العلو من فوقهم، فالجهة إن أريد بها الجهة المخلوقة، فالله ليس في جهة؛ لأنه ليس بحال في خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن أريد بها العلو فوق المخلوقات، فهذا ثابت لله عَزَّجَلَّ، فالله في العلو فوق السماوات، فالجهة لم يرد إثباتها أو نفيها في كتاب الله، ولكن يقال فيها على التفصيل السابق.

ومعنى: (بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ): أنهم لا يحيطون بالله عَزَّجَلَّ، ويرونه سبحانه بغير إحاطة، والله عظيم، لا يمكن الإحاطة به، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ يعني: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يقل: لا تراه الأبصار، إنما قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، فالإدراك شيء والرؤية شيء آخر، فهي تراه سبحانه بدون إحاطة، وفي هذا رد على من استدل بهذه الآية على نفي الرؤية، وقال: (الرؤية لا تمكن؛ لأن الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾).

فنقول لهم: أنتم لا تعرفون معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ معناها: لا تحيط به، وليس معناها: لا تراه، ولم يقل سبحانه: لا تراه الأبصار.

واستدلوا -أيضاً- فقالوا: (موسى عَلَيْهِ السَّلَام قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] هذا دليل على نفي الرؤية).

نقول لهم: هذا في الدنيا؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ذلك في الدنيا، ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبياء ولا غيرهم، وأما في الآخرة، فيرى المؤمنون ربهم، وحال الدنيا ليست كحال الآخرة، فالناس في الدنيا ضعاف في أجسامهم وفي مداركهم، لا تستطيع أن ترى الله عَزَّوَجَلَّ، وأما في الآخرة، فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم جَلَّوَعَلَا؛ إكراماً لهم، ولهذا لما سأل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه في هذه الآية، ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، الجبل اندك، وصار تراباً، والجبل أصم صلب، فكيف بالمخلوق المكون من لحم ودم وعظام؟ فهو لا يستطيع رؤية الله في الدنيا.

وسؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رؤية الله دليل على جواز الرؤية وإمكانها؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يسأل ربه شيئاً لا يجوز، إنما سألَهُ شيئاً يجوز، ولكن لا يكون هذا في الدنيا، فالله سبحانه قال: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، ولم يقل: إني لا أرى. فالله يُرى في الآخرة^(١)، وأولى الناس بهذه الرؤية الأنبياء.

وقوله: (وَلَا كَيْفِيَّةٌ)؛ أي: لا يقال: (كيف يرون الله؟)؛ لأن هذا كسائر صفات الله عَزَّوَجَلَّ لا نعرف كيفيتها، فنحن نؤمن به، ونعرف معناها ونثبتها، ولكن الكيفية مجهولة، ولا نعرفها، فالله أعلم بها سبحانه.

(١) فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَتَّانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَتَّانِ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِلَّا رِذَاءَ الْكَذِبَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ». أخرجه البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٨٠، ٧٤٤٤)، ومسلم (٢٩٦) (١٨٠).

كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١) [القيامة: ٢٢-٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ^[٢]،

.. الشرح ..

[١] هذا صريح أنه نظر إلى الله بالأبصار؛ حيث عُدِّي بـ(إلى)، فمعناه: الرؤية بالأبصار، قالت المعتزلة: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ ﴿إِلَىٰ﴾ جمع بمعنى: نَعَمْ؛ أي: إلى نَعَمْ ربها ناظرة). وهذا تخريف يضحك منه العقلاء؛ لأن الحرف لا يحول إلى جمع.

[٢] أي: تفسير ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أي: على ما أَرَادَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وهو المعاينة بالأبصار، لا على ما أَرَادَهُ المبتدعة.



(١) انظر: تفسير الطبري (١٩٢/٢٩)، وتفسير البغوي (٢٨٤/٨)، وتفسير ابن كثير (٤٥١/٤).

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
فَهُوَ كَمَا قَالَ ^[١]، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ ^(١) ^[٢]، لَأَنْدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِأَرَائِنَا،
وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا ^[٣]،

الشَّرح

[١] كل ما جاء عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات الرؤية فهو حق على حقيقته، مثل ما جاء في القرآن سواء، يجب الإيمان به؛ لأن كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحي من الله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، ويسمى بالوحي الثاني، ولقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة متواترة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فيجب الإيمان بذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكيف.

[٢] أي: ما أراد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا على ما أراده المبتدعة والمحرفة.

[٣] كما يفعله الجهمية والمعتزلة ومن تتلمذ عليهم وأخذ برأيهم من التأويل الباطل.

(١) انظر: سؤالات ابن أبي شيبه (ص ١٠٣)، والتصديق بالنظر للقاسم بن علي (ص ٣٢ - ٨٦)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٥٠)، والروح لابن القيم (١/ ٢٦٣)، وحاشية ابن القيم على تهذيب السنن (١٣/ ٣٩)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢١٤)، والتنبيهات السننية على العقيدة الواسطية (ص ٣٣-٣٤).

بل الواجب علينا أن نتبع الكتاب والسنة، ولا نتدخل بعقولنا وأفكارنا،
ونحكمها على ما جاء في الكتاب والسنة، الواجب أن الكتاب والسنة يحكمان
على العقول والأفكار^(١).



(١) فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْثُ الْحَصِمُ».
أخرجه البخاري (٢٤٥٧، ٤٥٢٣، ٧١٨٨)، ومسلم (٥) (٢٦٦٨).

فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^[١]، وَرَدَّ
عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ^{(١) [٢]}.

الشرح

[١] ومعنى (سلم) أي: قَبِلَ ما جاء عن الله، وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَأَمِنَ به على ما جاء، من غير أن يتدخل بتحريفه وتأويله، هذا معنى التسليم.
قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَمَنْتُ بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ
اللَّهِ، وَأَمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٢)؛
أي: لا على الهوى والتحريف وأقوال الناس^(٣).

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٧٠)، وتفسير البغوي (١/ ٢٧٨)، وتفسير القرطبي (٤/ ٩)،
وتفسير ابن كثير (١/ ٣٤٦)، وتفسير السعدي (ص ١٢٢).
(٢) ذكر هذا الأثر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الرسالة المدنية، انظر: مجموع الفتاوى
(٦/ ٣٥٤).

(٣) قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي:

نَهَايَةُ إِفْدَامِ الْعُقُولِ عَقَالٌ وَأَكْثَرُ سَغْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ
وَأَزْوَاجُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَدْوَى وَوَيْالٌ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطَّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عِلِيلًا، وَلَا تَرْوِي
عِلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الْإِنْبَاتِ ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾
[طه: ٥٠]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
[الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرُّبِي عَرَفَ مِثْلَ
مَعْرِفَتِي. اهـ.

من سَلَمَ وانقاد، وردّ ما اشتبه عليه، ولم يعرف معناه أو لم يعرف كيفيته، رده إلى عالمه، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذي يشكل عليه شيء، يرجع إلى أهل العلم: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، فإن لم يكن عند العلماء علم بهذا، فإنه يجب تفويضه إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

[٢] ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سأل أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن بعض الأشياء التي لا يعرفونها، قالوا: (الله ورسوله أعلم)، فلا يدخلون في المتاهات ولا يتخرصون.



= انظر: وفيات الأعيان (٢٥٠/٤)، والوفائي بالوفيات (١٧٥/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠، ٥٠١)، والبداية والنهاية (١٣/٥٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/٨١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٤/٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٩٥)، ودرء التعارض (١/١٦٠)، ومنهاج السنة النبوية (٥/٢٧١) وذكر الدكتور محمد رشاد سالم في الحاشية: (أن شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أن الرازي كان يتمثل بهذا الكلام في كتابه «أقسام اللذات»، وذكر الدكتور أن هذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي).

وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ^[١]، فَمَنْ رَامَ
عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهَمُّهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ
التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ^[٢]،

الشرح

[١] فإن وجدت عالماً موثقاً يبين لك، فالحمد لله، وإلا فابق على تسليمك واعتقادك أنه حق، وأن له معنى، ولكن لم يتبين لك.

لا يثبت الإسلام الصحيح إلا بالتسليم لله عَزَّجَلَّ، قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، والاستسلام هو: الانقياد والطاعة لما جاء عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٢] من لم يؤمن بما حجب عنه علمه، مثل علم الكيفية، فالواجب علينا الإيمان بها وردها، أي: رد علمها إلى الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال عَزَّجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحَكِّمُتُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، حجب الله

علمه عن الخلق، فلا تتعب نفسك، ثم قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]؛ يسلّمون ويستسلمون، ولا يمنعهم عدم معرفة معناه من الإيمان به والتسليم له، أو أن المعنى أنهم يردون المتشابه من كتاب الله إلى المحكم منه؛ ليفسروه، ويتضح معناه، ويقولون: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.



فَيَتَذَبَّدُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ
وَالْإِنْكَارِ^[١]، مُوسَّسًا تَائِهًا، زَائِعًا شَاكًّا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا
مُكَذِّبًا^[٢].

الشرح

[١] من لم يُسلم لله ولا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يجب عن معرفة
الله ومعرفة الحق، فيكون في متاهات وضلالات^(١).

وهذه حال المنافقين الذين يتذبذبون؛ تارة مع المسلمين، وتارة مع
المنافقين، وتارة يصدقون، وتارة يكذبون: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا
أُظْلِمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠].

أما أهل الإيثار: فما عرفوا، قالوا به، وما لم يعرفوا، وكلوا علمه إلى
الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يكلفون أنفسهم شيئاً لا يعرفونه، أو يقولون على الله ما
لا يعلمون؛ فالقول على الله بغير علم هو عدل الشرك، بل هو أعظم من
الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ
وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

(١) فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا
ثَلَاثًا. أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٧٤): (هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأفصى
حلوقةم. مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى على الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً
وفعلًا). اهـ.

مَا لَا نَعْمُونَ ﴿[الأعراف: ٣٣]، فجعل القول على الله بغير علم فوق الشرك بالله، مما يدل على خطورة القول على الله بغير علم.

[٢] هذه حالة أهل التردد والنفاق، دائماً شاكين، دائماً مترددين ومتذبذبين؛ لأنه ما ثبتت قدم أحدهم في الإسلام، ولم يسلم لله، ولا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما ذكر الله عن المنافقين أنهم ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].



وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بَوَهِمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ^[١]، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنَى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلِزُومِ التَّسْلِيمِ^[٢]، وَعَلَيْهِ دِينَ الْمُسْلِمِينَ^[٣].

الشرح

[١] دار السلام هي الجنة، فلا يصح الإيمان بالرؤية -أي: رؤية الله فيها- لمن يتوهم ويتأول فيها، وينفي حقيقتها، ولم يسلم الله ولا إلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتدخل فيها بفكره وفهمه.

[٢] كل هذا تأكيد لما سبق في أنه يجب التسليم لما جاء عن الله وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك الرؤية، لا نتدخل فيها كما تدخل أهل البدع، بل نثبتها كما جاءت، ونؤمن بها، ونثبت أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامة قبل دخول الجنة^(٣)، وبعد دخولهم الجنة يرونه -أيضاً-؛

(١) انظر: مادة: (أ و ل) في لسان العرب (١١/٣٢)، مختار الصحاح (ص ٢٠)، القاموس المحيط (١٢٤٤). وانظر: في معاني التأويل: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٨/٤ - ٦٩)، (١٣/٢٨٨ - ٢٩٤)، ودرء التعارض له (١/٢٠١ - ٢٠٨)، والصفدية (١/٢٩١).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/٧٩٥)، ومابعدھا.

(٣) كما في حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٢) (١٩٣)، و(٣٢٦) (١٩٢) بلفظ تم، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ النَّبِيِّ رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ»

إكرامًا لهم؛ حيث آمنوا به في الدنيا، ولم يروه^(١).

[٣] وهذا الأمر عليه دين المسلمين، وهو الإيمان والتسليم لما جاء عن الله ورسوله، وعدم التدخل في ذلك بالأفهام والأوهام والتأويلات الباطلة، والتحريفات الضالة، هذا دين الإسلام، بخلاف غير المسلمين؛ فإنهم يتدخلون فيما جاء عن الله وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحرفون الكلم عن مواضعه.



=إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا...».

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١) من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ، وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ^(١)، فَإِنَّ رَبَّنَا عَزَّجَلَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ^[٢]، مَنَعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ^[٣].

الشرح

[١] لا بد - كما سبق - من الوسط بين التعطيل وبين التشبيه، فلا يبالغ ويغلو في تنزيه الله، حتى يعطل الله من صفاته - كما فعل المعطلة -، ولا يثبت إثباتاً فيه غلو، حتى يشبه الله بخلقه، بل يعتدل، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكيف، هذا هو الصراط المستقيم المعتدل.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ وَلَا عَدِيلَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢] صفات الوجدانية بأن الله واحد لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، فهو واحد في كل هذه الحقائق.

[٣] منعوت، أي: موصوف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، التي لا يشبهه فيها أحد من خلقه، بل أسمائه وصفاته خاصة به ولائقة به، وصفات المخلوقين وأسماء المخلوقين خاصة بهم ولائقة بهم، وبهذا يتضح لك الحق والصواب، وتبرأ من طريقة المعطلة ومن طريقة المشبهة.

(١) والتنزيه هو: التسبيح، فمعنى ذلك: أن من نفى أو شبه، فإنه لم يسبِّح الله عَزَّجَلَ كما يليق بجلاله وعظمته؛ لأن معنى سبحان الله: تنزيهاً لله. انظر: النهاية (٢/٣٣١)، ولسان العرب (٢/٤٧١)، ومختار الصحاح (١/١١٩).

وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ^[١]، لَا تَحْوِيهِ
الْجِهَاتُ السَّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ^[٢].

الشرح

[١] هذا فيه إجمال: إن كان يريد الحدود المخلوقة، فالله منزّه عن الحدود والحلول في المخلوقات، وإن كان يريد بالحدود: الحدود غير المخلوقة، وهي جهة العلو، فهذا ثابت لله جَلَّ وَعَلَا، فالله لا ينزهه عن العلو؛ لأنه حق، فليس هذا من باب الحدود ولا من باب الجهات المخلوقة.

والغايات فيها إجمال -أيضاً-، فهي تحتل حقاً، وتحتل باطلاً، فإن كان المراد بالغاية: الحكمة من خلق المخلوقات، وأنه خلقها لحكمة، فهذا حق، ولكن يقال: حكمة، لا يقال: غاية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإن أريد بالغاية: الحاجة إلى المخلوقات، فنعم، هذا نفى صحيح، فالله عَزَّجَلَّ لم يخلق الخلق لحاجته وفقره إليهم، فإنه غني عن العالمين.

(وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ) فيها إجمال -أيضاً-، إن أريد بالأركان والأعضاء والأدوات: الصفات الذاتية مثل الوجه، واليدين، فهذا حق، ونفيه باطل. وإن أريد نفى الأعضاء التي تشابه أعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين، فالله سبحانه منزّه عن ذلك، فالحاصل أن هذا فيه تفصيل:

أولاً: إذا أُريد بذلك نفي الصفات الذاتية عن الله تعالى من الوجه واليدين، وما ثبت له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفاته الذاتية، فهذا باطل.

ثانياً: أما إن أُريد بذلك أن الله منزّه عن مشابهة أبعاض المخلوقين وأعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين، فنعم، الله منزّه عن ذلك؛ لأنه لا يشبهه أحد من خلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته.

الحاصل: أن هذه الألفاظ التي ساقها المصنف فيها إجمال، ولكن يحمل كلامه على الحق؛ لأنه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى من أهل السنة والجماعة، ولأنه من أئمة المحدثين، فلا يمكن أن يقصد المعاني السيئة، ولكنه يقصد المعاني الصحيحة، وليته فصل ذلك وبيّنه، ولم يحمل هذا الإجمال!

[٢] قوله: (لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السَّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ)، نقول: هذا فيه إجمال؛ إن أُريد الجهات المخلوقة، فالله منزّه عن ذلك، لا يحويه شيء من مخلوقاته، وإن أُريد جهة العلو وأنه فوق المخلوقات كلها، فهذا حق ونفيه باطل، ولعل قصد المؤلف بالجهات الست؛ أي: الجهات المخلوقة، لاجهة العلو؛ لأنه مثبت للعلو رَحِمَهُ اللهُ، ومثبت للاستواء.



وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِىَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ^[١]،

الشرح

[١] معنى الإسراء هو السير ليلاً^(١)، فقد أُسْرِىَ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة، أُسْرِىَ به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر من الله تعالى، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وهذا من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذه المسافة كانت تقطع في شهر أو أكثر، وقطعها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة واحدة.

وأما المعراج: فهو آله الصعود^(٢)، وعرج يعني: صعد، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]؛ يعني: تصعد، فالعروج معناه: الصعود، والمعراج آله الصعود التي يصعد بها، وكلاهما ثابت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).

فالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما المعراج، فمن الأرض إلى السماء، وكل هذا حصل في ليلة واحدة، أُسْرِىَ به إلى بيت

(١) انظر: مادة: (س ر ي) في لسان العرب (١٤/ ٣٨٢)، ومختار الصحاح (ص ١٢٥)، والقاموس المحيط (ص ١٦٦٩).

(٢) انظر: مادة: (ع ر ج) في لسان العرب (٢/ ٣٢٠)، ومختار الصحاح (ص ٤٦٧)، والقاموس المحيط (ص ٢٥٣).

(٣) حديث الإسراء والمعراج رواه البخاري (٣٢٠٧، ٧٥١٧)، ومسلم (٢٥٩) (١٦٢). من حديث أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي بعض الروايات يرويه أنس عن مالك بن صعصعة.

المقدس، وصلى فيه بالأنبياء^(١)، ثم عرج به إلى السماء، وجاوز السبع الطباق، وأراه الله من آياته ما أراه من آياته الكبرى، ثم نزل إلى الأرض، ثم جاء به جبريل إلى المكان الذي أُسري به منه في ليلة واحدة.

فالإسراء مذكور في سورة الإسراء، والمعراج مذكور في سورة النجم:
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝﴾ [النجم: ١-٥]؛ يعني: جبريل،
﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝﴾ [النجم: ٦-٧]،

هذا العروج، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَوْ أَنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ دنا
من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَنَدَىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ
إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٨-١٠].

فالإسراء والمعراج حق، ومن أنكرهما واستبعدهما، فهو كافر بالله عَزَّجَلَّ، ومن تأولهما، فهو ضال، ولم ينكره إلا المشركون، فمن يقل: (أُسري بروحه دون جسده، أو كان ذلك منامًا لا يقظة)، فهذا ضلال؛ لأن الله قال:

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٧٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَبْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَمْ أَتِبْهَا، فَكُرْبْتُ كُرْبَةً مَا كُرْبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتَبْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعَدْتُ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرُوهُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانتِ الصَّلَاةُ فَأَمَّتَهُمْ...».

﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، والعبد اسم للروح والبدن، لا يقال للروح: (إنها عبد)، وكان الإسراء في حال اليقظة، ولم يكن منامًا؛ لأن المنام ليس فيه عبرة، كل الناس يرون الرؤيا، ويرون عجائب، وليست خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ^[١]، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا،
وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ^[٢]، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى^[٣]،
فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى^[٤].

الشرح

[١] عرج بشخصه، رد على الذين يقولون: (عرج بروحه)، بل عرج
بشخصه، والشخص اسم للروح والجسم، والله يقول: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.
[٢] هذا المعراج إلى السماء.

[٣] أوحى الله إليه بذلك المكان ما أوحى، وكلمه الله سبحانه، ولم ير
الله؛ لأن الله لا يرى في الدنيا. هذا المعراج المذكور في سورة النجم.

[٤] هذا من حقوقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يصلى عليه ويسلم عند ذكره:
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ولما أصبح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، وأخبر المشركين بهذه الحادثة،
اشتد كفرهم وتكذيبهم بهذه المناسبة؛ من أجل أن يشوهوا الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، ويقولون: (نحن نمشي إلى فلسطين مدة شهر فأكثر، وهو

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٦، ٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠): عَنْ جَابِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ،
فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ».

يقول: في ليلة واحدة؟!، فارتد بعض ضعاف الإيمان بسبب هذه الحادثة^(١)، وأما أهل الإيمان الصحيح، فثبتوا وصدقوا، ولهذا لما قالوا لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ؟ قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنُ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ»^(٢)، هذا هو الإيمان الثابت الراسخ الذي لا يتزعزع.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٦ / ٥ - ٤٧٧): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ، وَبِعِلَامَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَبِعِيرِهِمْ، فَقَالَ نَاسٌ، قَالَ حَسَنٌ: نَحْنُ نُصَدِّقُ مُحَمَّدًا بِمَا يَقُولُ؟ - فَارْتَدُّوا كُفَّارًا، فَضَرَبَ اللَّهُ أَعْنَاقَهُمْ مَعَ أَبِي جَهْلٍ...».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٨١ / ٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٥٢ / ٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣٦٠ / ٢)، ومعرفة الصحابة (٢٤ / ١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ؟ قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنُ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: سيرة ابن هشام (٣٩٩ / ١).

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ - غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ - حَقٌّ ^(١) [١].

الشرح

[١] من جملة ما يعتقدُه أهل السنة والجماعة ما صح فيه الخبر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمور يوم القيامة، وما يحدث في يوم القيامة من أمور، فمن ذلك:

الحوض: فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا أن له حوضاً ^(٢) في يوم القيامة في المحشر، يردّه أتباعه الذين آمنوا به واتبعوه، فيشربون منه، فإذا شربوا منه شربة واحدة، لم يظمؤوا بعدها أبداً، وذلك لأن يوم القيامة يوم شديد وعصيب، وفيه حر شديد.

فيحصل الظمأ الشديد، فجعل الله هذا الحوض غياثاً لأمة محمد

(١) الأحاديث في إثبات الحوض للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواترة، منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٧)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال ابن حجر في الفتح (٤٦٩/١١): (فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء فزادت العدة على الخمسين)، ثم قال: (وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابياً) اهـ. وانظر في مبحث الحوض: السنة لابن أبي عاصم (٣٢١/٢)، والإبانة للأشعري (ص ٢٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٥٠)، وشرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ضَمَنَ مجموع فتاواه (٨/ ٥١٥-٨١٧).

(٢) فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا يَبْنِي أَيْلَةً وَصُنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، مسلم (٣٩) (٢٣٠٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يغيثهم به، ومعلوم أن الغيث الذي ينزله الله من السماء تحيا به الأرض، وتحيا به النفوس، فكذلك الحوض؛ فإنه غياثٌ يغيث الله به العباد عند شدة حاجتهم إلى الماء.

والحوض هو مجمع الماء، وقد وصفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه حوض عظيم، طوله شهر، وعرضه شهر، وآيته عدد نجوم السماء^(١)، وأن من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً^(٢)، «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(٣).

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يرده أقوامٌ، ثم يذادون ويمنعون من الشرب منه، فيقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ»^(٤)، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُحْقًا سُحْقًا»^(٥) لمن بدل وغير، ويمنع من وروده أهل البدع المضلة المخالفون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) أخرجه مسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُضْحِيَّةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْحَبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى آيَلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٢، ٦٥٨٤، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩١، ٢٣٠٤).

الذين كفروا وارتدوا على أعقابهم، تاركين السنة، وذاهبين بأهوائهم وآرائهم المذاهب المنحرفة، هؤلاء يمنعون من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم بدلوا وغيروا من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يَرِدُهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مُتَبِعًا لِسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولاً وعملاً واعتقاداً، وبعض العلماء يرى أن الكوثر المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] هو الحوض، وبعض العلماء يرى أن معنى الكوثر: الخير الكثير^(١)، ولا شك أن الحوض يدخل في هذا الخير الكثير؛ لأنه خير لهذه الأمة^(٢)، فهذا هو حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب الإيمان به واعتقاده، وأن يتمسك الإنسان بالسنة، حتى يرد هذا الحوض، ولا يُرَدُّ عنه يوم القيامة.



(١) انظر في معنى الكوثر: تفسير الطبري (٢٤/٦٧٩ - ٦٨٩)، وزاد المسير (٤/٤٩٧ - ٤٩٨)، والقرطبي (٢٠/٢١٦ - ٢١٨)، وابن كثير (٨/٤٩٨ - ٥٠٢).

(٢) فعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: «هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ». أخرجه البخاري (٤٩٦٦، ٦٥٧٨).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَنْزَلْتُ عَلَى أَنْفَا سُورَةَ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّكَ شَانِعُكَ هُوَ الْآبَتَرُ ﴿[الكوثر: ٢]﴾ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟، فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ». أخرجه مسلم (٥٣) (٤٠٠).

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ^(١) [١].

الشرح

[١] الشفاعة -أيضاً- من مسائل العقيدة المهمة^(٢)؛ لأنه قد ضل في إثباتها أناس، وغلا في إثباتها أناس، وتوسط فيها أناس.

فالشفاعة يوم القيامة الناس فيها على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قوم غلوا في إثباتها، حتى طلبوها من الأموات، ومن القبور، ومن الأصنام والأشجار والأحجار: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

القسم الثاني: طائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة، والخوارج^(٣)، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.

(١) انظر مبحث الشفاعة في: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٥٢)، وباب الشفاعة في كتاب التوحيد (ص ٢٣٥) من تيسير العزيز الحميد، والواسطية مع شرحها للعلامة الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله تعالى - (ص ٥٦)، وكتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٢١٠) للشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله تعالى -.

(٢) حديث الشفاعة أخرجه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠) ومسلم (١٩٣، ١٩٤). وفيه: «... اثنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه...».

(٣) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ =

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة توسطوا، فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط.

والشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، فالوتر هو الفرد الواحد، والشفع هو أكثر من واحد؛ اثنان أو أربعة أو ستة، وهو ما يسمى بالعدد الزوجي^(١).

وشرعاً: الوساطة في قضاء الحاجات، وساطة بين من عنده الحاجة وصاحب الحاجة، وهي على قسمين: شفاعة عند الله، وشفاعة عند الخلق.

فالشفاعة عند الخلق على قسمين:

القسم الأول: شفاعة حسنة، وهي الأمور الحسنة النافعة المباحة، تتوسط عند من عنده حاجات الناس من أجل أن يقضيها لهم، قال سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ»^(٢)، هذه شفاعة حسنة، وفيها أجر؛ لأن فيها نفعاً للمسلمين في قضاء

= صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

(١) انظر مادة (شفع) في: العين (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٧٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)، ولسان العرب (٨/ ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٤٥) (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حاجاتهم وحصولهم على مطلوبهم الذي فيه نفع لهم، وليس فيها تعدد على أحد أو ظلم لأحد.

والقسم الثاني: شفاعة سيئة، وهي التوسط في أمور محرمة، كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت^(١)، وهذا يدخل فيمن لعنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا»^(٢).

والشفاعة -أيضا- في أخذ حقوق الآخرين وإعطائها لغير مستحقها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (٨) (١٦٨٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ قُرَيْشًا أَهْمُهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يَكْلُمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنْتُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

(٢) أخرجه مسلم (٤٣) (١٩٧٨) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ». وأخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٢٠) (١٣٧٠)، واللفظ للبخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنٍ مَوْلَاهُ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ».

أما الشفاعة عند الله، فليست كالشفاعة عند المخلوق، فالشفاعة عند الخالق: أن يكرم الله جَلَّوَعَلَا بعض عباده في أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبتها، فيشفع عنده الشافع في أن يعفو عنه ولا يعذبه؛ لأنه مؤمن موحد، فيشفع الشافع عند الله جَلَّوَعَلَا بأن يعفو عنه، أو فيمن دخل النار في معصية، فيشفع الشافع عند الله في أن يخرج ويرفع عنه العذاب، وهي ما تسمى بالشفاعة في أهل الكبائر.

لكن الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذن، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، أما من قبل أن يأذن، فلا أحد يتقدم إلى الله عَزَّجَلَّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وليس كالمخلوق الذي يتقدم الناس للشفاعة عنده - وإن لم يأذن -، فالله جَلَّوَعَلَا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيثار، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ أي: رضي الله قوله وعمله، وجاء الشرطان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾: هذا الشرط الأول، ﴿وَيَرْضَى﴾: هذا الشرط الثاني.

أما الكافر، فإنه لا تنفعه الشفاعة: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] فالشفاعة في القرآن شفاعتان:

شفاعة منفية: وهي التي انتفت شروطها.

وشفاعه مثبتة: وهي التي تحققت شروطها.

فالكافر لا تنفعه الشفاعه؛ لو شفع فيه أهل السماوات وأهل الأرض ما قبل الله فيه شفاعتهم؛ لأنه مشرك كافر بالله عَزَّوَجَلَّ، لا يرضى الله قوله ولا عمله، إلا ما جاء في شفاعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب، فهي شفاعه خاصة، وأيضاً ليست شفاعه من أجل خروجه من النار، إنما هي شفاعه من أجل تخفيف العذاب عن هذا الرجل؛ لما حصل منه من مؤازرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحمايته له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمدافعة عنه، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع في تخفيف العذاب عنه فقط^(١).

هذه هي الشفاعه الثابتة بشروطها، وهي أنواع:

منها أنواع خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنواع مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة^(٢)،

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩): عَنْ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْطُوكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟» قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي صَحْصَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي صَحْصَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ».

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

والصالحين^(١)، والأفراط^(٢)، الذين ماتوا قبل البلوغ^(٣)، كل هؤلاء يشفعون عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأما الشفاعة الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي أنواع:

أولها: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف، إذا طال الموقف يوم القيامة، واشتد الكرب، واشتد الزحام، ودنت الشمس من الرؤوس، وحصل الكرب العظيم، أهل المحشر يريدون من يشفع لهم لفصل القضاء بينهم وصرهم من هذا الموقف - إما إلى جنة، وإما إلى نار -، فيذهبون إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر لهيبة المقام وجلالته، ثم يذهبون إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول الرسل، فيعتذر، ثم

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيُحْجُونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ».

(٢) الأفراط: هم الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل آبائهم. انظر لسان العرب (٣٦٦/٧) مادة: (فرط).

(٣) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما الذي أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وأحمد في المسند (٣٣٤/١)، وأبو يعلى (١٣٨/٥)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٦٨/٤) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ مَاتَ لَهُ قَرَطَانٌ مِنْ أُمَّتِي أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَنْ مَاتَ لَهُ قَرَطٌ؟ قَالَ: «وَمَنْ مَاتَ لَهُ قَرَطٌ يَأْمُوقَةً»، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَرَطٌ؟ قَالَ: «فَأَنَا قَرَطٌ أُمَّتِي لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِي».

وأخرج النسائي في المجتبى (٢٢/٤)، وأحمد في المسند (٤٣٦/٣)، وابن أبي شيبه (٣٦/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٩/٧)، والطبراني في الكبير (٥٤)، والحاكم في المستدرک (٥٤١/١) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ: «أَمَا يَسُرُّكَ أَلَّا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَهُ حَاصَّةٌ أَوْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلُّكُمْ».

يذهبون إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله، فيعتذر، ثم يذهبون إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر -أيضاً-، ثم يذهبون إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، ثم يأتي فيخر ساجداً بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، ويحمده ويشني عليه، ويدعوه، حتى يقال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تَسْمَعُ، وَسَلِّ تَغْطُهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ»^(١)، بعد الدعاء والاستئذان، لا يشفع مباشرة، بل يسجد، ويدعو، ويشني على الله، ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ثم يؤذن له بالشفاعة، ثم يشفع للفصل بين الخلائق، فيقبل الله شفاعته، ويأتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِفصل القضاء بين عباده، قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

هذه شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم، شَرَّفَ الله به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ لأنه يحمد عليه الأولون والآخرين، ويظهر فضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الموقف العظيم.

الشفاعة الثانية الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شفاعته في أهل الجنة

(١) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ؛ منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) ٣٢٢٢، و[١٩٢] ٣٢٦، بلفظ أتم، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [١٩٤] ٣٢٧، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم [١٨٣] ٣٠٢، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن يدخلوا الجنة^(١)، فأول من يستفتح باب الجنة هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أول من يدخلها^(٢)، وأول من يدخلها من الأمم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشفاعة الثالثة الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شفاعته لأهل الجنة بأن يرفع الله منازلهم ودرجاتهم، فيشفع في أناس في أن يرفع الله درجاتهم في الجنة، فيرفعهم الله بشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشفاعة الرابعة - وهي مشتركة -: الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وهذه هي محط الخلاف بين الفرق؛ فالجهمية والخوارج وأضرابهم أنكروها، وقالوا: (من دخل النار، لا يخرج منها)، وأهل السنة والجماعة أثبتوها كما جاءت، واعتقدوها، ويجب على المسلم أن يعتقدوها، ويؤمن بها، وأن يسأل الله أن يشفع فيه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه بحاجة إليها.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي شفاعته في عمه أبي طالب، أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطلب المشرك، قال: (هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)^(٣)، ومات على ذلك، فصار من أهل النار

(١) فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ». أخرجه مسلم (٣٢) (١٩٦).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٣٣٣) (١٩٧): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٣٩) (٢٤): عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: «أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ =

الخالدين فيها، ولكن الله عَزَّجَلَّ يشفع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاح من نار، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، مع أنه أهون أهل النار عذاباً^(١).

والشفاعة في أهل الكبائر مشتركة، فالملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والأولياء والصالحون يشفعون^(٢)، والأفراط يشفعون لأبائهم.



=رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بَيْنَكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِّهِ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانِ

لِلنَّبِيِّ ﴿التوبة: ١١٣﴾ [الآية].

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٦).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٠٦).

وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ ^(١) [٢].

الشَّرْح

[١] الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً حق؛ كما جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم بالوحدانية، وأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً ^(٢)، فنحن نؤمن بذلك، وهذا العهد والميثاق لا يكفي، بل لابد معه من إرسال الرسل، ولذلك أرسل الله الرسل، ولو كان هذا يكفي وحده، لما أرسل الله الرسل، ولكن أرسل الرسل من أجل أن تذكر به، وتدعو الناس إلى ما تضمنه.

(١) انظر مبحث الميثاق في: درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ٣٣٢)، والروح لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٥٧)، وشفاء العليل (ص ٢٨٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٦٥)، والدرر السنية (١٣/ ٢٠٣)، و تفسير البغوي (٣/ ٢٩٩)، وتفسير السعدي (ص ٣٠٨).

(٢) فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنِعْمَانٍ -يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَتَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا، قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرَضِينَ﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]. أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧)، والحاكم ٥٤٤/٢ وصححه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح). وصحح إسناده الشيخ شاکر في تحقيق المسند (٢٤٥٥).

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فذهب بعض المفسرين إلى أن هذا هو العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم والميثاق، وليس كذلك، بل هذا شيء آخر، والله يقول: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل: من ظهر آدم، وتكملة الآية: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وقال بعض العلماء: (معنى ذلك: الفطرة التي فطرهم الله عليها، والآيات الكونية التي نصبها الله لهم؛ ليعرفوا منها ربهم)، فالله سبحانه فطرهم على التوحيد وعلى الإسلام^(١): ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وهي دين الإسلام ودين التوحيد، فالإسلام معناه: التوحيد الذي جاءت به الرسل، ومعناه: عبادة الله وحده لا شريك له، هذا هو الدين القيم. ومع هذا نصب الأدلة على ربوبيته فيما يشاهدونه في أنفسهم من خلقهم العجيب، وما فيهم من الآيات العجيبة التي تدل على الخالق سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك ما نصبه أمامهم من السماوات والأرض والمخلوقات التي تدل على الخالق، إن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق، لم توجد صدفة أو توجد بدون خالق: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

(١) فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ بِهَيْمَةٍ جُمَعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] الآية». أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٢) (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهِ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ
ولله في كل تحريكة وتسكينة في الوري شاهد^(١)

كل ما أمامك يدل على وحدانية الله، ويشهد الله بالانفراد في خلق هذه المخلوقات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، فالخالق الله سبحانه، ولا أحد يخلق معه، فكيف يُعبد غيره ممن لا يخلق ولا يرزق ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟! فمعنى الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ...﴾ [الأعراف: ١٧٢]: شهادة الفطرة وشهادة الكائنات على وحدانية الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس لأحد أن يعتذر يوم القيامة، ويقول: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فالاحتجاج بالتقليد لا يصلح أمام البراهين القاطعة والأدلة الساطعة.

(١) هي للشاعر المشهور إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية، ولد سنة ثلاثين ومائة، أصله من عين التمر وهي بليدة بالحجاز، ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسك وصار قوله في الوعظ والزهد، وأبو العتاهية لقب، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٥٠)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٤/ ١٧٤٩)، والمتنظم (١٠/ ٢٣٦)، ووفيات الأعيان (١/ ٢١٩)، والوفاء بالوفيات (٩/ ١١١)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٦٥)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١/ ١٦). ونسب ابن خلكان هذه الأبيات لأبي نواس في وفيات الأعيان (٧/ ١٣٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا لِلَّهِ لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ١٩٩).

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ
النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يَزْدَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ^[١].

الشرح

[١] هذا الكلام وما بعده من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كله في موضوع
القضاء والقدر.

والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة؛ كما قال
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ». قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ
بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)،
وفي القرآن قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فليس هناك شيء بدون تقدير، أو أن هناك أشياء تقع صدفة، أو أن
الأمر أنف؛ إن كل شيء يحدث فإنه مقدر ومكتوب.

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع درجات، نلخصها فيما يلي:
المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء، وأن الله علم
الأشياء أزلاً، علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، لا يخفى
على علمه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المرتبة الثانية: أن الله جَلَّ وَعَلَا كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق بعد أن علمها سبحانه، وهي الكتابة العامة الشاملة لكل شيء، وفي الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَالَ رَبِّ: وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١)، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، لا يكون في هذا الكون شيء إلا بإرادة الله ومشيئته مما هو في اللوح المحفوظ، وفي علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يحدث شيء بدون إرادته، ولا يكون في ملكه ما لا يريد سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤]، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، فما يحدث في هذا الكون من حياة وموت، وغنى وفقر، وإيمان وكفر، كل ذلك شاءه الله وأراده، شاء الخير وشاء الشر، وشاء الإيمان وشاء الكفر، فدخل في مشيئته كل شيء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد، فما شاءه وأراده، فإنه يوجد ويخلقه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، وأدلة العلم أدلة كثيرة جدًا.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٣١٧/٥). وجاء أيضًا بلفظ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ». أخرجه الطبراني في الكبير (٦٨/١٢)، والضياء في المختارة (٣٣٣/١٠)، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: (رجاله ثقات).

ومن جملة الذي وصف الله به نفسه: العلم، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وذلك في علمه الأزلي، وأن ما قدره الله تعالى لا يزداد فيه ولا ينقص، ومن ذلك: أنه يعلم أهل الجنة وأهل النار، ويعلم ما هم عاملون، نؤمن بذلك، ونتجه إلى العمل، ولاتتناقش في القضاء والقدر: كيف؟ ولماذا؟ وكيف يُحاسبُ على شيء قد قدره؟ إلى آخر الهذيانات وإضاعة الأوقات، والاعتراض على الله عَزَّجَلَّ.

الواجب عليك فعل الطاعات واجتناب المعاصي، فليس شأن العبد التفتيش في سر الله عَزَّجَلَّ ومخاصمة الرب جَلَّ وَعَلَا، إنها شأنه العمل، ولذلك لما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ ما منهم من أحد إلا مكتوب مقعده من الجنة، أو مقعده من النار، «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ٤ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٤-٧]، السبب من العبد نفسه؛ إما أن يسعد، وإما أن يشقى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحَقِّ﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨-١٠]، فالمطلوب منا العمل الصالح وترك العمل السيئ، أما الاحتجاج بالقضاء والقدر،

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧) (٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنْزِلَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ [الليل: ٥-٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠].

فليس بعذر، فإن الله عَزَّجَلَّ قد بين لنا الخير والشر، فليس هناك عذر، فالناس يقعون في مشاكل بسبب دخولهم في أشياء ليست من اختصاصهم، فيقول: (إن كان الله قد كتب لي أن أدخل الجنة، دخلتها، وإن كان قد كتب لي أن أدخل النار، دخلتها)، ولا يعمل شيئاً.

فيقال له: أنت لا تقول بهذا في نفسك، هل تقعد في البيت وتترك طلب الرزق، وتقول: إن كان الله قد كتب لي رزقاً، فسييسره لي، أو تخرج وتسعى وتطلب الرزق؟! وتطلب الرزق؟! وتطلب الرزق!؟

البهائم والطيور لا تقعد في أوكارها، بل تخرج وتطلب الرزق، وجاء في الحديث: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١)، فالله فطرها على طلب الرزق، وعلى فعل الأسباب، وهي بهائم، وأنت رجل عاقل!

وأيضاً: لو أن أحداً سرق منك شيئاً، هل تقول: هذا قضاء وقدر، أم تشتكيه؟ بل تشتكيه، وتطلب، وتخاصم، ولا تحتج بالقضاء والقدر!



(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد في المسند (٣٣٢/١)، وعبد بن حميد (١٠) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). وصحح إسناده الشيخ شاکر في تحقيق المسند (٣٧٠، ٣٧٣).

وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ^[١]، وَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ^[٢].
وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ^[٣]، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ
بِقَضَاءِ اللَّهِ^[٤].

الشرح

[١] أي: علم أفعالهم في الأزل.

[٢] قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾ [الليل: ٥-١٠].

[٣] (وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ): الإنسان لا يغير بعمله، وإن كان أصلح الصالحين، بل يخاف من سوء العاقبة، ولا يحكم على أحد بأنه من أهل النار بموجب أفعاله؛ لأنه لا يدري بماذا ينتم له، ويوضح ذلك حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»^(١)، فالإنسان يخاف من

(١) أخرجه البخاري (٣١٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِبَ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، =

سوء الخاتمة، ولا يحكم على أحد بسوء الخاتمة؛ لأنه لا يدري بها يختم له.
فالتوبة تجب ما قبلها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ [الأنفال: ٣٨].

فالأعمال بالخواتيم، ولكن من لطف الله عَزَّجَلَّ بعباده أن من عاش على الخير، فإنه يختم له بالخير، ومن عاش على الشر، فإنه يختم له بالشر، فالإنسان يعمل الأسباب، ويحسن الظن بالله عَزَّجَلَّ.

وبعض الناس يقول: أتوب قبل الموت. فنقول له: وهل تدري متى تموت؟ يمكن أن تموت في لحظة لا يمكن معها التوبة، ولا تدري هل التوبة مقبولة أم لا؛ لأن التوبة لها شروط.

[٤] لا يشقى بقضاء الله عَزَّجَلَّ، إنما يشقى بعمله الذي قدره الله له؛ من قدر الله أنه يشقى أو يسعد، فسييسره له.



=وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا.

وَأَصْلُ الْقَدَرِ ^(١) سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ ^(٢) ^[١]، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ^[٢]،

الشرح

[١] أي: لن تصل إلى سره، مهما حاولت التفتيش في القضاء والقدر، فلا تكلف نفسك، ولكن آمن بالقضاء والقدر، واعمل الأعمال الصالحة، واجتنب الأعمال السيئة، وأما أن تبحث عن أسرار القدر، فهذا ليس من اختصاصك، ولا هو من شأنك، وما كلفت به.

[٢] هذا من شأن الله عَزَّجَلَّ، ومن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه غيره، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، وأفضل الرسل يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].



(١) انظر: مادة (ق د ر) في معجم مقاييس اللغة (٥/ ٦٢)، والنهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢)، ولسان العرب (٥/ ٧٢)، والقاموس المحيط (ص ٥٩١). وانظر في مراتب القدر: شفاء العليل (ص ٦١)، وما بعدها، ومعارج القبول (٢/ ٢٢٥)، والقضاء والقدر لعمر الأشقر (ص ٢٩).

(٢) كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُفْشِهِ». انظر: تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٣)، وفيض القدير (١/ ٣٤٨)، وتحفة الأحوذى (٦/ ٢٧٩).

وَالْتَعَمَّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسَلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ
الطُّغْيَانِ^[١]، فَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ، نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسةً^[٢]، فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ^[٣]، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ^[٤]،

الشرح

[١] هذا كلام عظيم، أي: التعمق في القضاء والقدر ومسائله، وإشغال
الوقت والنفس والقلب، مما يورث الشكوك ويخذل عن العمل، فهذا من
اللبب والخذلان.

إذا خذل الله العبد، شغله في هذه الأمور، وإذا أكرم الله العبد، شغله في
طاعته واغتنام وقته.

فنحن لنا حدود لا نتعدهاها، فالله ما كلفنا بالبحث في القضاء والقدر،
ولكن كلفنا باعتقاد ذلك وبالعمل الصالح وترك العمل السيئ.

[٢] أي: احذر من هذه الأمور، والنظر في هذه الأمور، والتفكير فيها،
والوسوسة -وهي: التردد والشك-، اترك هذه الأمور، وسد هذا الباب
أصلاً.

[٣] هذا تأكيد لما سبق (الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى)، ومعنى طوى: أخفى،
فطوى الله هذه المعلومات عن خلقه؛ لأنه ليس لهم فيها مصلحة.

[٤] نهاهم عن مرام القدر أن يبحثوا فيه، والنبى صلى الله عليه وسلم غضب لما رأى الصحابة يتساءلون في هذا، فقال: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟»^(١).



(١) فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدْرِ، فَكَانُوا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ، حَبُّ الرُّمَانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، قَالَ: فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَخَلَّفْتُ عَنْهُ». أخرجه أحمد (٢٥٠ / ١١)، وابن ماجه (٨٥)، واللفظ له. وصححه الشيخ شاكر في تحقيق المسند (٦٦٦٨).

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
[الأنبياء: ٢٣]^[١]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ^[٢]، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ
الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ^(١)^[٣].

الشرح

[١] أنت لا تسأل الله، ولا تناقشه عن أفعاله وعن قضائه وقدره، تأدب مع الله؛ لأنك عبد، فلا تتدخل في شؤونه جَلَّ وَعَلَا، فالله لا يسأل عما يفعل؛ لأن الله لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، والحكمة قد تظهر وقد تخفى علينا، فنؤمن بأن الله لا يفعل شيئاً عبثاً؛ إنما يفعل له حكمة، سواءً ظهرت لنا أو لم تظهر.

فالإنسان مسؤول عن عمله، ليس مسؤولاً عن أعمال الله عَزَّجَلَّ، فاعتن بها أنت مسؤول عنه يوم القيامة، وهو عملك، فعلى العبد التسليم لله.

[٢] أي: قال: لم فعل الله كذا؟ لم قدر الله كذا وكذا؟ فمن قال هذا، فقد رد حكم الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

[٣] فمن رد حكم الكتاب والسنة، واعترض على ذلك، وذهب إلى العقل والتفكير، صار من الكافرين^(٢)؛ لأن الإيمان بالكتاب والسنة هما ركنان من أركان الإيمان.

(١) للاستزادة في مبحث القضاء والقدر. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٥)، ومنهاج السنة (٢٧٨/ ٣)، وشفاء العليل، ولمعة الاعتقاد (ص ٢١)، وإيثار الحق على الخلق (ص ٢٧٨).

(٢) فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْثُ الْخَصِمُ» أخرجه البخاري (٢٤٥٧، ٤٥٢٣، ٧١٨٨)، ومسلم (٥/ ٢٦٦٨)..
..

فَهَذَا جُمْلَةٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ^[١]، وَهِيَ
 دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ ^[٢]؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ
 فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ ^[٣]، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ ^[٤]،
 وَلَا يَثْبُتُ الْإِيْيَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ ^[٥].

.. الشَّرْحُ ..

[١] أي: يحتاجه في أمور القضاء والقدر، فأنت تؤمن بالقدر ومراتبه
 الأربع، تؤمن بتفاصيلها التي جاءت في الكتاب والسنة، ولا تدخل في
 المناقشات والاعتراضات، بل تعمل العمل الصالح والأسباب المناسبة.

[٢] الراسخون، يعني: الثابتين في العلم، الذين عندهم علم راسخ،
 وليس عندهم شكوك ولا جهل، فهم يؤمنون بالقضاء والقدر، ويعملون
 الأعمال الصالحة، ويتركون الأعمال السيئة، ولا يتدخلون مع الله في سر من
 أسرارهِ، ولا يناقشونه ويعترضون عليه، هذا شأن الراسخين في العلم، وأما
 الجهَّال، فيدخلون في ضلالات وأمور ابتدعوها.

[٣] العلم علمان:

علم استأثر به الله، فلا يعلمه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو علم الغيب.
 وعلم في الخلق موجود، علّمهم الله إياه، وهو ما لهم فيه مصلحة
 وذلك بما أنزل الله من الكتاب، وما أرسل به الرسول: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، وقيل: الفقه في

دين الله، فالله علمنا والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

[٤] إنكار العلم الشرعي وما فيه من الأمر والنهي والإخبار عن الماضي والمستقبل إنكاره كفر.

وادعاء علم الغيب كفر: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وأكمل الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[٥] لا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وهو علم الكتاب والسنة، وترك علم الغيب لله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].



وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ^[١].

الشرح

[١] هذا تابع لما سبق من الكلام عن القضاء والقدر، وقد سبق أن من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: الإيمان بما كتب في اللوح المحفوظ، وأن الله لما علم كل شيء، كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وذلك أن الله خلق الخلق، وأول ما خلق القلم، «فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١)، فجرى القلم بأمر الله بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ كما جاء في الحديث.

ولا يعلم كيفية اللوح والقلم إلا الله، وهما مخلوقان من مخلوقات الله عَزَّجَلَّ، نؤمن بذلك، ولذلك قال المؤلف: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ)؛ يعني: اللوح المحفوظ، والكتابة فيه.

وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، وهي: الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ.



(١) سبق تخريجه (ص ١١٥).

فَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ
غَيْرَ كَائِنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ؛
لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ^[١]،

الشرح

[١] الكتابة التي كتبها الله تعالى في اللوح المحفوظ لا يقدر أحد على تغييرها، فلو اجتمع الخلق على أن يغيروا شيئاً كتبه الله، لما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يوجدوا شيئاً لم يكتبه الله في اللوح المحفوظ، لم يوجدوه؛ كما جاء ذلك في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

فلا تغيير ولا تبديل لما كتبه الله جَلَّ وَعَلَا في اللوح المحفوظ.

(١) أخرج الترمذي (٢٥١٦)، أحمد في المسند (٤/٤٠٩)، وهناد في الزهد (١/٣٠٤)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١/١٢٣)، والحاكم في المستدرک (٣/٦٢٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٦٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَتَبْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تُحِذِهِ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُّحُفُ».

جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١)، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ، لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ، لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ^[١].

الشرح

[١] هذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر؛ أن تعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. فإذا أصابتك مصيبة مما تكره، فإنك تعلم أن هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، ولا بد أن يقع، فتتسلّى بذلك عن الجزع والسخط، وتؤمن بالله عزَّ وجلَّ.

وما أخطأك، لم يكن ليصيبك، لو حرصت على طلب شيء وبذلت كل وسعك وجهدك، فلن تحصل عليه، فإذا فعلت السبب، وبذلت كل شيء، ولم تحصل عليه، فإنك تسلم، وتؤمن بالقضاء والقدر، ولا تنزعج، ويكون عندك هواجس وهموم، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢)، إذا

(١) كما في الحديث الذي سبق تخريجه الصفحة السابقة.

(٢) أخرجه مسلم (٣٤) (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

علمت هذا، هان عليك الأمر، ولا يحصل منك جزع، ولا تحسر، الأمور بيده سبحانه، نعم أنت تفعل الأسباب، وتحرص على ما ينفعك، ولكن النتائج من لدن الله عَزَّوَجَلَّ، وما تدري ما الخيرة؟ فلا يعطيك الله عَزَّوَجَلَّ ذلك الشيء؛ لأنك لو حصلت عليه، يكون عليك منه ضرر، فالله يعلم، وأنت لا تعلم، عليك أن ترضى بقضاء الله وقدره.

وفي القرآن الكريم يقول الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ويقول -ردًا على الكفار لما قالوا في شأن الذين قتلوا في يوم أحد-: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فما كُتِبَ على الإنسان لابد من نفاذه فيه، ولو تحرز وتحصن وعمل من الاحتياطات ما عمل، لم يمنعه ذلك من قضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].



وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ^[١]،
فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا^[٢]، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ
وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِضٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَواتِهِ وَأَرْضِهِ^[٣]،

الشرح

[١] هذه هي المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

على العبد أن يؤمن ويعتقد أن الله علم ما كان وما لم يكن بعلمه الأزلي،
الذي هو موصوف به أبداً وأزلاً، علم الأشياء كلها بعلمه المحيط قبل
وقوعها، فلا بد من اعتقاد ذلك.

[٢] عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدَّرَهُ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

[الفرقان: ٢].

فالأمور ليست فوضى، أو ليست لها ضوابط، كلها مرتبة ومنضبطة
بقضاء الله وقدره وكتابته، والله منزّه عن الفوضى والعبث.

[٣] لا أحد يتصرف، فيغير ما قضاه الله وقدره، لا راد لقضائه،

ولا معقب لحكمه: ﴿وَاللَّهُ يَخْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١]، فلا أحد
ينقص شيئاً من قضاء الله، ولا يزيد شيئاً أبداً، هذا شيء قُضي منه وانتهى

منه.

إذا اعتقد المسلم ذلك، أراحه من كثير من الشكوك والأوهام، ولكن ليس معنى ذلك أنه يتكل على القضاء والقدر والكتاب، ويترك العمل^(١)، هو مأمور بالعمل وطلب الرزق وفعل الأسباب، هذا من ناحية العمل، وأما من ناحية النتائج، فهي بيد الله عزَّ وجلَّ.



(١) فعن عليٍّ رضي الله عنه، قال: «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مَخْضَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْضَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمُكُّ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَقَالَ: اعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۝﴾ [الليل: ٥-١٠]. أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ^[١]، وَالاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى
وَرُبُوبِيَّتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]^[٢].

الشرح

[١] هذه العقيدة - عقيدة القضاء والقدر - من عقيدة الإيمان بالله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذي لا يكون مؤمناً بالقضاء والقدر، لا يكون مؤمناً بالله
جَلَّ وَعَلَا، بل كان متنقصاً لله عَزَّوَجَلَّ، فالإيمان به من العقيدة، وليس من الأشياء
الثانوية أو الفرعية، فالإيمان بالقضاء والقدر من صميم العقيدة، وهو ركن
من أركان الإيمان؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ،
وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

[٢] الإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال
الله جَلَّ وَعَلَا، فمن جحد القضاء والقدر، لم يكن مؤمناً بتوحيد الربوبية.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا
مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، هذه الآيات
الثلاث مع غيرها من الآيات تدل على الإيمان بالقضاء والقدر: ﴿مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢]؛ يعني: اللوح المحفوظ.

فَوَيْلٌ لِّمَن صَارَ لِلّهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا^[١]، وَأَخْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا^[٢]، لَقَدْ التَّمَسَّ بِوَهْمِهِ^(١) فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا^[٣]، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكَأً أَثِيمًا^[٤].

الشرح

[١] الذي يدخل في أمور القضاء ويشكك فيه خصيم لله، ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالقضاء والقدر بمراتبه الأربع، حسب ما جاء في الكتاب والسنة، ولا تتدخل في السؤالات والإشكالات والشكوك والأوهام، فإن هذا معناه مخاصمة الله عَزَّجَلَّ، فالذين تدخلوا في القضاء والقدر لم يتوصلوا إلى شيء، بل وقعوا في حيرة واضطراب وإفساد للعقيدة.

[٢] فأمور القضاء والقدر وشؤون الله عَزَّجَلَّ لا يدركها النظر والتفكير والعقل، فلا تكلف عقلك شيئاً لا يستطيعه، فالعقل محدود، لا يمكنه أن يدرك كل شيء، فلا تدخله في متاهات وأمور لا يطيقها.

[٣] لأن القضاء والقدر سر الله جَلَّوَعَلَا في خلقه، فلا تبحث عنه، ولا تُكلف بذلك، إنما كُلفت بالعمل والطاعة والامثال.

[٤] أي: يكون كل كلامه وكل بحثه إفكاً، يعني: كذباً وإثماً -والعياذ بالله-؛ لأنه فعل ما لم يؤمر به، وتدخل فيما ليس من شأنه.

(١) الوَهْمُ: وهم القلب، والجميعُ: أوهامٌ. انظر: مادة (وهم) في: العين (٤/ ١٠٠)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٤٥)، والصحاح (٥/ ٢٠٥٤)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٤٩)، ولسان العرب (١٢/ ٦٤٣).

وَالْعَرْشُ ^(١) وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ ^(٢) [١].

الشرح

[١] الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق الكرسي، وخلق العرش، كلها مخلوقات لله عَزَّجَلَّ، السماوات فوق الأرض، وفوق السماوات البحر، وفوق البحر الكرسي، وفوق الكرسي العرش، فهو أعلى المخلوقات ^(٣)، وذلك كما جاء في الحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» ^(٤)؛ يعني: السماوات السبع وعظمها وما فيها - مقارنة بالكرسي - كسبعة دراهم أُلقيت في مثل الصحن الذي يترس به المقاتل، فما نسبة سبعة دراهم في ترس مستدير؟ نسبتها قليلة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والعرش أعظم

(١) انظر: مادة (ع ر ش) في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٧)، ولسان العرب (٣١٣/ ٦)، ومختار الصحاح (ص ١٧٨).

(٢) انظر: مادة: (ك ر س) في لسان العرب (٦/ ١٩٤)، ومختار الصحاح (ص ٢٣٦)، وتاج العروس (٤٣٦/ ١٦).

(٣) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٤٧)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٨٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦)، والدليمي في الفردوس (٤/ ٧٨)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٠٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص ١١٧).

من الكرسي، فالكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة؛ كما جاء في الحديث^(١)، فلو أُلقيت حلقة في أرض واسعة، فما نسبتها إلى هذه الفلاة؟ لاشيء.

هذه مخلوقات عظيمة وواسعة، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالعرش أعلى المخلوقات، والله سبحانه عالٍ فوق عرشه فوق مخلوقاته، والكرسي تحت العرش، وجاء في الأثر: «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ»^(٢)، فالكرسي مخلوق، وليس المقصود به العلم؛ كما نسب ذلك لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾؛ أي: علمه^(٣)، أي: وسع علمه السماوات والأرض. المعنى صحيح، ولكن ليس هذا المقصود من الآية، فالكرسي مخلوق، والعلم صفة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، ليست من مخلوقاته، فيجب الإيذان

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٦٣٦/٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْفِيَتْ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥١/٣)، وابن أبي شيبه في العرش (ص ٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩١/٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٢/٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٢١)، والحاكم في المستدرک (٣١٠/٢) وصحَّحه، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٥١/٩)، والهروي في الأربعين (ص ٥٧) موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كما أخرجه ابن أبي شيبه في العرش (ص ٧٨)، والطبري في تفسيره (٩/٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٤/٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٢١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢) موقوفاً على أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكلا الإسنادين صحيح عنهما. انظر: مختصر العلو للألباني (ص ١٢٣، ١٢٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٣٧/٤)، وابن أبي حاتم (٤٩١/٢)، وزاد المسير (٢٢٩/١) - (٢٣٠)، وابن كثير (٦٨٠/١).

بالعرش وبالكرسي، هذا حق على حقيقته، وليس العرش كما يقوله الأشاعرة -ومن هنا نحوهم-: (إن العرش هو الملك)، فيقولون في قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: (أي: استولى على الملك)، وهذا ضلال، فالعرش مخلوق: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، فالعرش تحته الكرسي، والكرسي تحته السماوات، والأرض تحت السموات. في الحديث: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»^(١)، فالفردوس هو أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن.

فعرشه مخلوق، وله حملة، وهم طائفة من الملائكة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، قبل يوم القيامة يحمله أربعة، فإذا جاء يوم القيامة، تضاعفوا، وصاروا ثمانية^(٢)، فكل واحد من الملائكة لا يتصور خلقه وعظمته وقوته.

وهل يقال -إذا قيل: إن العرش هو الملك-: إن الملك تحمله الملائكة؟!



(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠، ٣٥١): ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ثمانية أملاك، وجاء في الحديث: «أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدتهم الله بأربعة أملاك آخرين»، هذا قول الجمهور.

والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عَزَّجَلَّ، قاله ابن عباس وابن جبير وعكرمة.

والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله، قاله مقاتل). اهـ.

وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ^[١]. مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ^(١) وَفَوْقَهُ^(٢) [٢]،
وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ^(٣) [٣].

الشرح

[١] لا تتصور أن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أنه محتاج إلى العرش كاستواء المخلوق على المخلوق، بل الله عَزَّوَجَلَّ مستوٍ على العرش، وهو غني عن العرش وما دون العرش. جميع المخلوقات محتاجة إلى الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، فهو الذي يمسك العرش، ويمسك السماوات، ويمسك الأرض والمخلوقات بقدرته وعزته، فهي المحتاجة إليه، وهو غني عنها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولا يلزم من كون الشيء فوق الشيء أن يكون الأعلى محتاجاً إلى ما تحته، فالسماوات فوق الأرض، وليست محتاجة إلى الأرض.

- (١) والإحاطة في اللغة هي: الإتيان للشيء من جميع جهاته. انظر: مادة (ح و ط) في العين (٢٧٦/٣)، ولسان العرب (٢٧٩/٧)، ومختار الصحاح (ص ٦٨).
- (٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ».
- (٣) انظر في مبحث العلو: بيان تلبس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٩ - ١٣٤٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب العلو للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح الطحاوية (ص ٣١٣ - ٣٢٨).

[٢] محيط علمه بكل شيء، وهو فوق المخلوقات، فعلمه محيط بكل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وإحاطته بالأشياء: علمه بها، وإلا فالله عَزَّجَلَّ في جهة العلو.

[٣] فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، ولا يحيطون به علماً، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالله محيط بكل شيء علماً: ﴿لِنَعْلَمَ مَا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].



وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(١)، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا؛ إِيْمَانًا وَتَضَدِيْقًا وَتَسْلِيْمًا^[١].

الشرح

[١] من عقيدة المسلمين أن الرسل أفضل الخلق، وأن الرسل يتفاضلون، فهم يعتقدون أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، والخلة هي أعلى درجات المحبة، فالله جلَّ وعَلَا يحب عباده المؤمنين والمتقين والمحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ولكن الخلة لم يحصل عليها إلا اثنان من العالم: إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»^(٢).

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ففضل بعض النبيين على بعض، وإن كانوا كلهم بالمرتبة العليا، لكن الله جلَّ وعَلَا فضل بعضهم على بعض: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فكل نبي يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ تفضيلاً خاصاً به، فضل إبراهيم ومحمدًا -عليهما الصلاة والسلام- بالخلة، وفضل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه كلمه تكليمًا بدون واسطة الملك، وسمع موسى كلامه، ناداه

(١) انظر: في الكلام على المحبة ومراتبها: روضة المحبين لابن القيم (ص ٥٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣) (٥٣٢) والبخاري بنحوه (٤٦٦، ٤٦٧).

سبحانه، وناجاه؛ والمناداة: الصوت المرتفع، والمناجاة: الصوت الخفي، كل هذا حصل لموسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه فضيلة لم يحصل عليها غيره، وقال: ﴿تَكْلِيمًا﴾ للتأكيد، حتى لا يقول أحد: (إن هذا مجاز)، فلما أكد به بالمصدر، دل على أنه تكليم حقيقي من الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا فيه إثبات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وفيه إثبات الفضيلة لموسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيره من النبيين في هذه الخصلة، ولا يلزم إذا كان عند نبي من الأنبياء ميزة خاصة أن يكون أفضل من غيره على الإطلاق، بل هو أفضل من غيره من الأنبياء في هذه الخصلة.



وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ^[١]،

الشرح

[١] هذا من أركان الإيمان، التي أولها: الإيمان بالله، وثانيًا: الإيمان بالملائكة، وهم عالم من عالم الغيب لا يعلمه إلا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، خلقهم الله تعالى من النور^(١)؛ لعبادته وتنفيذ أوامره في مخلوقاته، أكل إليهم أعمالاً يقومون بها وينفذونها في مخلوقاته؛ منهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالقطر والنبات، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور^(٢)، ومنهم الموكل بحفظ أعمال بني آدم، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالأجنة في بطون الحوامل؛ كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(١) أخرجه مسلم (٦٠/٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٩/١١)، وأبو الشيخ في العظمة

(٢/٧٠٠، ٧٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣١٥)، وابن أبي شيبه في العرش

(ص ٨٦-٨٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... فَمَنْ هَذَا يَا

جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِسْرَافِيلُ، خَلَقَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَافًا قَدَمَيْهِ، لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ، بَيْنَهُ

وَبَيْنَ الرَّبِّ عَزَّجَلَّ سَبْعُونَ نُورًا، مَا فِيهَا نُورٌ كَانَ يَدْنُو مِنْهُ إِلَّا احْتَرَقَ، فَإِذَا أَدْنَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي

شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوْحُ حَتَّى يَضْرِبَ جَبْهَتَهُ فَيَنْظُرُ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ

مِنْ عَمَلِي أَمْرِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ أَمْرُهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مَلَكِ الْمَوْتِ

أَمْرُهُ بِهِ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟، قَالَ: عَلَى الرِّيحِ وَالْجُنُودِ، فَقُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ

شَيْءٍ مِيكَائِيلُ؟ قَالَ: عَلَى النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، فَقُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ؟ قَالَ: قَبْضُ

الْأَنْفُسِ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هَبَطَ إِلَّا بِقِيَامِ السَّاعَةِ».

«ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»^(١).

فهم موكلون بأعمال يقومون بها؛ كما أمر الله تعالى بها: ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فهم يعبدون الله عبادة متواصلة، ومع ذلك يقومون بما أوكل إليهم من تنفيذ الأوامر في المخلوقات، ولهم مهام عظيمة، وخلقهم لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٢)، تختلف عن خلقه بني آدم: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ كَـ﴾

(١) أخرجه البخاري (٣١٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

(٢) فعن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُطِّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَكَبَّيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ». أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٤٠٥ / ٣٥)، والحاكم في المستدرک (٢ / ٥٥٤، ٦٢٣)، والبيهقي في الكبرى (٧ / ٨٣)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو عيسى: (حديث حسن غريب)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ ﴿١﴾ [فاطر: ١]، ولبعضهم أكثر من ذلك: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ له ستائة جناح، كل جناح منها سد الأفق^(١)، فلا يعلم خلقتها ولا كيفيتها إلا الله.

أما البشر، فلا يستطيعون رؤية الملك على صورته، وإنما يأتي الملك في صورة إنسان؛ كما كان جبريل يأتي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة إنسان، ويجلس إليه، ويكلمه، ولم يره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صورته الملكية إلا مرتين؛ مرة وهو في بطحاء مكة رآه في الأفق، ومرة عند سدره المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج^(٢)، وما عدا هاتين المرتين فإن جبريل يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٩٤/٦)، وابن جرير في تفسيره (٤٩/٢٧)، وأبو يعلى (٤٠٩/٨)، وابن حبان (٣٣٧/١٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٩٧٨/٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاطُلِ وَالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ».

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٧) (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِيْنِي، وَلَا تُعْجِلِيْنِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ... الحديث.

في صورة إنسان، وكثيرًا ما كان يأتي في صورة دحية الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) ^(٢).

وقوله: (وَالنَّبِيِّينَ) النبيون جمع نبي، وهو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ^(٣)، ويجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، ومن آمن ببعضهم وكفر ببعضهم، فهو كافر بالجميع: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾.



- (١) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي من كبار الصحابة لم يشهد بدر وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وشهد اليرموك، وبقي إلى خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحدث بأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: الاستيعاب (١/ ١٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠).
- (٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (١٠٠) (٢٤٥١) «أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَتْ: هَذَا دَحِيَّةٌ. فَلَمَّا قَامَ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ خَبَرَ جَبْرِيلَ». وعند مسلم (٢٧١) (١٦٧) بلفظ: «وَرَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا دَحِيَّةً».
- (٣) انظر: (ص ٥١).

وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ^[١]

الشرح

[١] من أصول الإيمان وأركانه: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الرسل لهداية الخلق؛ فالله تعالى أنزل الكتب على الرسل من كلامه ووحيه وتشريعه، أنزلها على الرسل؛ ليلغوها إلى أممهم، فيها الأوامر وفيها النواهي، وفيها شرع الله جَلَّ وَعَلَا.

منها ما سماه الله في القرآن، ومنها ما لم يسمه، ونحن نؤمن بجميع الكتب - ما سماه لنا، وما لم يسمه -؛ كالنوراة التي أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل الذي أنزله على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقرآن الذي أنزله على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والزبور الذي أنزله على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وصحف إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنؤمن بها كلها، وأنها في مصلحة الخلق وهداية الخلق وإقامة الحجة، فمن آمن ببعض الكتب، وكفر ببعضها، فهو كافر بالجميع؛ لأنها كلها من كلام الله، فلا يجوز الإيمان ببعضها والكفر بالبعض الآخر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]. وكذلك الكتاب الواحد يجب الإيمان به كله، والعمل به كله، فلانأخذ ما يوافق شهواتنا، وندع ما يخالفها.

فمن جحد كتاباً من كتب الله، أو بعضاً من الكتاب، أو كلمة من الكتاب، أو حرفاً من الكتاب، فهو كافر بالله عَزَّجَلَّ.

وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبَلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ^[١]،

الشرح

[١] هذا من العقيدة؛ أنه من نطق بالشهادتين، واستقام عليهما، فإنه مسلم، ولو صدر منه بعض المعاصي، ولو كانت من الكبائر، وما دامت المعاصي دون الشرك، ولكن يكون مسلمًا ناقص الإسلام وناقص الإيثار وفاسقًا، ولكنه لا يُحكم بكفره إن كانت معاصيه دون الشرك، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يُكفرون بالمعاصي التي هي دون الشرك، ولكن ينقص بها الإيثار، وصاحبها يفسق بها الفسق الأصغر الذي لا يخرج من الملة، خلافاً للخوارج الذين يُكفرون بالكبائر، ويخرجون بها من الملة، ويخلدون صاحبها في النار، وخلافاً للمعتزلة الذين يُخرجون صاحب الكبيرة من الإسلام، ولكن لا يدخلونه في الكفر، ويقولون: (هو في منزلة بين المنزلتين)، ولكن لو ماتوا على الكبيرة، فالمعتزلة مثل الخوارج في الحكم عليهم، وخلاف عقيدة المرجئة^(١) الذين يقولون: (إنه لا يضر مع الإيثار معصية، من صدق بالله عزَّجَل، فإنه يكون مؤمناً، وإن فعل ما فعل - ولو ترك جميع أركان الإسلام عندهم لا يكون كافراً -، المهم التصديق والاعتقاد، أما الأعمال، فلا تزيد في الإيثار ولا تنقصه، وليست منه، فهو مؤمن تام الإيثار، ما دام مصداقاً)،

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخرؤا العمل عن مسمى الإيثار، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيثار معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفرق) (ص ١٩٠).

هذا مذهب المرجئة، وهو مذهب ضال، فهم مع الخوارج على طرفي نقيض؛ قوم تشددوا، وهم الخوارج، وقوم ذابوا وماعوا، وقالوا: (إن هذه المعاصي لا تضر)، وهم المرجئة.

وأما أهل السنة والجماعة، فتوسطوا، ومذهبهم مأخوذ من الكتاب والسنة، وهو العدل، وفيه الجمع بين الأدلة.

أما الخوارج والمعتزلة، فأخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد.

وأما المرجئة، فأخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، لكن أهل السنة والجماعة أخذوا بنصوص الوعد وبنصوص الوعيد، وجمعوا بينها، وهذا الحق: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فيردون هذا إلى هذا، ولا يأخذون بطرف، ويتركون الطرف الآخر؛ كما هو مذهب أهل الزيغ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، يأخذون بالمتشابه، ويتركون المحكم الذي يفسر المتشابه.

وقول المصنف: (مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ) ليس على إطلاقه؛ لأنهم قد يكونون ناقصين في الإسلام والإيمان، ومتوعدين من الله عَزَّوَجَلَّ.



مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ
وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ^[١].

الشرح

[١] أما لو جحدوا شيئاً مما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يعترفوا، صاروا كفاراً، ولو آمنوا ببعض ما جاء به، فإن جحدوا بعضه، فهم كافرون بجميع ما جاء به، فالواجب الإيمان به كله، سواء وافق أهواءنا أو خالفها؛ لأنه حق.

أما من كذب ببعض الأحاديث الصحيحة، فهو كافر، فلورد حديثاً في البخاري، والحديث صحيح، وقال: (أنا لا أؤمن بهذا الحديث، ولا أصدقه؛ لأنه يخالف العلم الحديث)، فسبحان الله! كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتَّهَم، وكلام البشر لا يتهم؟! أيضاً العلم الحديث قد لا يخالف الأحاديث الصحيحة -والحمد لله-، فمثلاً ورد في حديث الذباب الذي ينكره هؤلاء أن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر دواءً، والطب يقر بهذا أن السم يعالج بضده، وبما يناقضه، والذباب فيه النقيضان، فإنه إذا وقع في الماء، فإنه يرفع الجناح الذي فيه الدواء، ويغمس الجناح الذي فيه السم، فالتبني صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بغمسه بجناحه الذي فيه الدواء^(١)، فيغالب السم، فهذا يقره الطب، ولا يردده،

(١) فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْأُخْرَى شِفَاءً». أخرجه البخاري (٣٣٢٠، ٥٧٨٢).

ولكنه لما خالف أذواق هؤلاء الجاهل، صاروا يتكلمون بهذا الكلام، وهذا كفر - والعياذ بالله -، ولهم مقالات شنيعة نحو السنة، يردونها، ويشككون فيها، ويقولون: (إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»^(١))، يقولون هذا، وهم يدعون أنهم دعاة للإسلام، وهذا موقفهم من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهؤلاء الجاهل يقولون: (هذه من أمور الدنيا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»)، فمعناه: أنهم يُجهِّلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: (مُعْتَرِفِينَ ... مُصَدِّقِينَ) لا يكفي الاعتراف والتصديق إلا على مذهب المرجئة، بل لابد مع ذلك من العمل بما جاء به، ولا بد من الإخلاص في ذلك.



(١) أخرجه مسلم (١٤١) (٢٣٦٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذًا وَكَذًا، قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

وَلَا نَخُوضُ فِي اللَّهِ، وَلَا نُتَمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ^[١].

.. الشرح ..

[١] لا نخوض في الله، بل نؤمن به وبصفاته وأسمائه، ولا نتوّلها ونصرّفها عن ظاهرها، ونأتي بمعانٍ ما أرادها الله ولا أرادها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ اتباعاً لأهوائنا وعقولنا القاصرة، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك في دين الله لا نماري؛ أي: نجادل، ونقول: (هذا نؤمن به، وهذا نتوقف في الإيمان به)، فما دام ثبت في الكتاب والسنة، فليس فيه مجال للخوض، بل نؤمن به ونُسَلِّم، وإن كان في عقولنا ما لا يدرك هذا الشيء، فعقولنا قاصرة، ولو كانت كاملة، لما احتاجت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما احتاجت البشرية إلى الرسل، فدل على أن العقول قاصرة، وأنه لا بد من إرسال الرسل؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.



وَلَا تُجَادِلْ فِي الْقُرْآنِ^(١)، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ^[١]،

الشرح

[١] قوله: (وَلَا تُجَادِلْ فِي الْقُرْآنِ) يشمل عدم القول بأنه ليس من عند الله؛ كما يقوله الكفار، ويقولون: هو من عند محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك الجدل في تفسير معاني القرآن، فلا نفسر القرآن من عند أنفسنا، فالقرآن لا يفسر إلا بما جاء في كتاب الله أو ما جاء في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ما قاله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو ما قاله التابعون، أو ما اقتضته اللغة العربية التي نزل بها.

فلا نقول فيه بعقولنا القاصرة، إنما يفسره الله سبحانه الذي نزل، أو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي وكل إليه بيانه، أو الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تتلمذوا على المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو التابعون الذين رووا عن تلاميذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو اللغة التي نزل بها؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين.

أما تفسيره بما يقوله الطبيب الفلاني، أو المفكر الفلاني، أو الفلكي الفلاني، فالنظريات تختلف، فاليوم نظرية، وغداً نظرية تبطلها؛ لأنها من عمل البشر، فلا يُفسَّر كلام الله بهذه الأشياء التي تتبدل وتتغير كما يفعله الجهال اليوم، ويقولون: هذا من الإعجاز العلمي.

(١) انظر: مادة (جدل) في العين (٧٩/٦)، ولسان العرب (١١/١٠٣)، ومقاييس اللغة (٤٣٣/١)، والقاموس المحيط (١٢٦٠).

وقوله: (وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، نشهد أن القرآن كلام الله،
تكلم الله به حقيقة، وسمعه جبريل من الله، وبلغه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وبلغه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمته، وبلغته أمته كل جيل إلى الجيل الذي بعده،
نحن نكتبه، ونقرؤه، ونحفظه، وهو بذلك كلام الله ما هو بكلامنا، ولا كلام
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَام.



نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ^[١]،

الشَّرْح

[١] الروح الأمين هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمي بهذا لأنه مؤتمن، لا يغير ولا يبدل؛ مؤتمن على ما حمله الله، لا يتهم بالخيانة؛ كما تقوله اليهود يقولون: (جبريل عدونا)، أو كما يقوله غلاة الشيعة: (إن الرسالة لعلِّي رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُ، ولكن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خان، وبلغها إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فهذا تكذيب لله؛ لأن الله سواه أميناً.

فأنزل الله في اليهود: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، ثم قال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

من عادى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو ملكاً من الملائكة، فإن الله عدوه، وكذا من عادى رسولاً من الرسل، فهو كافر، ومن عادى ولياً من أولياء الله، فإنه مبارز الله بالمحاربة؛ كما صح في الحديث^(١)، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ علمه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]، وضمير المفعول في (علمه) راجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾: جبريل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر الله.

(١) فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...». أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ^[١]، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ^[٢]،

الشرح

[١] هو كلام الله، تكلم به سبحانه حقيقة، وسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام من الله حقيقة، وبلغه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير زيادة ولا نقصان: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ۖ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ لَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كُنتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]، فالرسول يبلغ القرآن، لا ينقص، ولا يزيد، ولا يبدل: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا نَزَلَ، فالله حفظه من الزيادة والنقص: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

[٢] لا نقول: القرآن مخلوق - كما تقول الجهمية -، فهذا كفر وجحود لكلام الله، ووصف الله بالنقص، وأنه لا يتكلم، والذي لا يتكلم يكون ناقصًا، ولا يكون إلهًا، ولهذا لما قال قوم السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾، يعنون العجل أو التمثال، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا

وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿طه: ٨٩﴾، فقال: ﴿أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يتكلم، فدل على بطلان عبادتهم له.

وفي الآية الأخرى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، والكلام صفة كمال، وعدم الكلام صفة نقص، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزه عن صفات النقص، ومتصف بصفات الكمال.



وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ^[١].

الشرح

[١] (وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ)، فجماعة المسلمين يؤمنون بأنه منزل

حقيقة غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذه عقيدة المسلمين في القرآن.

وكذلك لا نخالف جماعة المسلمين في كل ما اجتمعوا عليه من أمور

الدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[النساء: ١١٥].

(من الله بدأ) وليس كما يقول بعض الضلال: (إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذه

من اللوح المحفوظ)، بل سمعه من الله مباشرة.

(وإليه يعود)؛ أي: في آخر الزمان، يرفع القرآن إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من علامات

الساعة، فيُنزَع القرآن من المصاحف وصدور الرجال، فلا يبقى في الأرض^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيَسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَذْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ صَلَوةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَذْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَوةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا».

وَلَا نُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ^[١].

الشرح

[١] هذا كما سبق؛ أن الذنب إذا لم يكن كفرًا أو شركًا مخرجًا من الملة، فإننا لا نُكْفِّرُ به المسلم، بل نعتقد أنه مؤمن ناقص الإيمان، معرض للوعيد وتحت المشيئة، هذه عقيدة المسلم، ما لم يستحلّه، فإذا استحل ما حرم الله، فإنه يكفر؛ كما لو استحل الربا أو الخمر أو الميتة أو لحم الخنزير أو الزنا، إذا استحل ما حرم الله، كفر بالله، وكذلك العكس: لو حرم ما أحل الله، كفر: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، وجاء تفسير الآية بأنهم أحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فأطاعوهم^(١).

أما لو فعل الذنب، وهو لم يستحلّه، بل يعترف أنه حرام، فهذا لا يكفر، ولو كان الذنب كبيرة دون الشرك والكفر، لكنه يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، أو فاسقًا بكبيرته مؤمن بإيمانه.

(١) فعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ». أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

وقوله: (وَلَا تُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ) ليس على إطلاقه، فتارك الصلاة متعمداً يكفر^(١)؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة.



(١) فعن بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ». أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٣٢٦)، وأحمد (٢٠ / ٣٨).

وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِّنْ عَمَلِهِ^[١].

نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ،
وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ^[٢]، وَنَسْتَغْفِرُ لِمَسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ،
وَلَا نَقْنَطُهُمْ^[٣].

الشرح

[١] كما تقوله المرجئة، يقولون: ما دام مصدقاً بقلبه، فهو مؤمن كامل الإيمان، أما الأعمال، فأمرها هيّن، فالذي لا يصلي، ولا يصوم، ولا يحجن ولا يزكي، ولا يعمل شيئاً من أعمال الطاعة، يقولون: هو مؤمن بمجرد ما في قلبه! وهذا من أعظم الضلال.

فالرد عليهم: أن الذنوب تضر على كل حال، منها ما يزيل الإيمان بالكلية، ومنها ما لا يزيله بالكلية، بل ينقصه، وصاحبها معرض للوعيد المرتب عليها.

[٢] هذا بحث للشهادة لمعين أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار، نحن لا نشهد لأحد بجنة أو نار إلا بدليل، إلا من شهد له المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل الجنة، شهدنا له بذلك، ومن شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنار، شهدنا له بذلك، هذا بالنسبة إلى المعينين، أما بالنسبة إلى العموم، فنعتقد أن الكافرين في النار، وأن المؤمنين في الجنة، أما على وجه الخصوص، فلا نحكم

لأحد إلا بالدليل، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء. هذه عقيدة المسلمين.

[٣] نستغفر للمسيء؛ لأنه أخونا، وندعو له بالتوبة والتوفيق؛ وإن كان مذنبًا، وهذا حق الإيمان علينا: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ولا نُقْنِطُ المذنب من رحمة الله - كما تقوله الخوارج والمعتزلة -، لانقنطه من رحمة الله، بل هو معرض للوعيد وتحت المشيئة، وإن تاب، تاب الله عَزَّوَجَلَّ عليه: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

والوعيدية - الذين هم الخوارج ومن سار في ركبهم - هم الذين يُقْنِطُونَ الناس من رحمة الله، ويخرجونهم من الملة بذنوبهم، وإن كانت دون الشرك.



وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ^[١]،

الشرح

[١] من أصول العقيدة الإسلامية: الخوف والرجاء، وهما من أعظم أصول العقيدة، والخوف والرجاء لا بد من الجمع بينهما، لا يكفي الاختصار على واحد منهما فقط؛ كما قال تعالى في وصف أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، رغبًا: هذا هو الرجاء، ورهبًا: هذا هو الخوف.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهم يجمعون بين الخوف والرجاء.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، ولا بد معهما من المحبة لله، فلا بد من هذه الأمور الثلاثة: المحبة لله، والخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرجاء لفضله.

فمن اقتصر على المحبة فقط، فهو صوفي، فالصوفية يعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ بالمحبة، ولا يخافون، ولا يرجون، يقول قائلهم: (أنا لا أعبد طمعًا في جنته، ولا خوفًا من ناره، وإنما أعبد للمحبة فقط)، وهذا ضلال -والعياذ بالله!

ومن عبد الله بالخوف فقط، فهو من الخوارج؛ لأن الخوارج أخذوا جانب الخوف والوعيد فقط، فكفروا بالمعاصي.

ومن عبد الله بالرجاء فقط، فهو من المرجئة، الذين أخذوا جانب الرجاء فقط، وتركوا جانب الخوف.

أما أهل التوحيد، فيعبدون الله بجميع الثلاث: بالحب، والخوف، والرجاء، ثم إن الخوف لا يكون معه قنوط، فإن كان معه قنوط من رحمة الله، صار كفراً: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، قال الخليل صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وكذلك الرجاء لا يكون رجاء مع الأمن من مكر الله وعدم الخوف، وهذا مذهب المرجئة، وهو مذهب ضال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، فالرجاء فقط كفر، والخوف دون الرجاء كفر، ولذلك قال المصنف: (يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ).

لذا يقول بعض السلف: يجب على العبد أن يكون بين الخوف والرجاء؛ يعني: يسوي بينهما، كجناحي الطائر، وجناحا الطائر معتدلان، لو اختل واحد منهما، سقط، فكذلك العبد بين الخوف والرجاء كجناحي الطائر.



وَسَبِيلِ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ^[١].

وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ^(١) مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ^[١].

الشرح

[١] (الحَقُّ بَيْنَهُمَا) أي: الخوف والرجاء (لأَهْلِ الْقِبْلَةِ) أي: المسلمين، سُمُّوا أهل القبلة؛ لأنهم يصلون إلى الكعبة، أما من لا يصلي إلى الكعبة، فليس من المسلمين؛ لأن الله أمر بالتوجه إلى الكعبة، فالواجب اتباع أمره سبحانه حينما نسخ الاستقبال لبيت المقدس، فالمؤمن يدور مع الأوامر؛ لأنه عبد لله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

[٢] هذا الكلام فيه مؤاخذه؛ لأن قصر الكفر على الجحود مذهب المرجئة، ونواقض الإسلام كثيرة، منها: الجحود، ومنها: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومنها: الاستهزاء بالدين أو بشيء منه، ولو لم يحدد، وهي نواقض كثيرة، ذكرها العلماء والفقهاء في أبواب الردة، ومنها: تحليل الحرام وتحريم الحلال.

(١) الجحد من الكلمات التي جاءت في القرآن، ولها دلالتها في لغة العرب، فالجحد في اللغة: هو الرد والإنكار، جحد الشيء يعني: رده، أو أنكره، هذا من جهة اللغة، فيجتمع في اللغة مع التكذيب بالشيء ظاهراً، أو مع التكذيب به باطناً، وأما في القرآن فإن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر الجحد في عدة آيات، وبين أن الجحد قد يجتمع مع التكذيب، وقد لا يجتمع مع التكذيب. انظر: لسان العرب (٣/ ١٠٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٤٢٥)، وختار الصحاح (ص ٤٠).

وذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب منها عشرة، وهي أهمها، وإلا فالنواقض كثيرة، فقصرُ نواقض الإسلام على الجحود فقط غلط، وبعض الكتاب المتعلمين اليوم يحاولون إظهار هذا المذهب من أجل أن يصير الناس في سعة من الدين، ما دام أنه لم يجحد، فهو عندهم مسلم، إذا سجد للصنم، وقال: (أنا ما جحدت، وأنا معترف بالتوحيد)، إنما هو ذنب من الذنوب. أو ذبح لغير الله، أو سب الله، أو سب الرسول، أو سب الدين، يقولون: (هذا مسلم لأنه لم يجحد)، وهذا غلط كبير، وهذا يضيع الدين تمامًا، فلا يبقى دين؛ فالواجب الحذر من هذا الخطر العظيم.



وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ^[١].

الشَّرْح

[١] هذا تعريف المرجئة، قصرُوا الإيمان على الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

فالقول الحق: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، فالأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وليست بشيء زائد عن الإيمان، فمن اقتصر على القول باللسان، والتصديق بالقلب دون العمل، فليس من أهل الإيمان الصحيح.

فالإيمان - كما قال العلماء -: (قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان)^(١).

(١) وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، فقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: (لقد طفت الأمصار، ولقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم كلهم يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/١٧٣، ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/٥٨، ٥٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٧، ٤٠٨)، وذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢١٧)، وابن حجر في الفتح (١/٤٧). وقال أيضًا: (كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل) اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/٨٨٩)، وذكره ابن حجر في الفتح (١/٤٧٩).

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع عن الشافعي، انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣٠٨). وقال ابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٣٨): (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، هذه الآيات تدل على زيادة الإيمان والنقص؛ كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَقْلِبْهُ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، فدل على أن الإيمان ينقص.

وفي رواية: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(٢)، دل على أن الإيمان ينقص، حتى يكون على وزن حبة خردل.

وكما في الحديث الصحيح: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(٣).

فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، هذا تعريفه الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة. فليس كما تقوله الحنفية: قول باللسان واعتقاد بالجنان فقط^(٤). وليس كما تقوله الكرامية^(٥): قول باللسان فقط.

(١) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢، ٦٥٦٠)، ومسلم (٣٠٤) (١٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) راجع كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى (٢٩٠/٧)، وما بعدها.

(٥) هو محمد بن كَرَام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥ هـ. =

وليس كما تقوله الأشاعرة: اعتقاد القلب فقط.

وليس كما تقوله الجهمية: هو المعرفة بالقلب فقط.

فالمرجئة أربع طوائف، أبعدها الجهمية، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه عارف، وإبليس يكون مؤمناً؛ لأنه عارف بقلبه.

وعلى قول الأشاعرة: (إنه التصديق بالقلب)، يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين يكونون مؤمنين؛ لأنهم موقنون بقلوبهم ومصدقون، يصدقون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واليهود يعترفون أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، ولكن الحسد والكبر: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال في المشركين: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فمعنى ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾؛ أي: أنهم يصدقونك.

وأبو طالب يقول^(١):

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

= انظر: المنتظم (٩٧/١٢)، وتاريخ دمشق (١٢٧/٥٥)، والسير للذهبي (٥٢٣/١١)،
والبداية والنهاية (٢٠/١١)، والأنس الجليل (٢٩٦/١)، وشذرات الذهب (١٣١/٢).
(١) انظر: البداية والنهاية (٤٢/٣)، وسمط النجوم العوالي (٣٩٤/١)، والإصابة في تمييز
الصحابه (١٩٨/٧).

وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ [١].

الشرح

[١] هذا كلام طيب، كل ما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حق، بخلاف من يقولون: إن ما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقسم إلى متواتر^(١) وآحاد^(٢). فلا يأخذون إلا بالمتواتر، ويقولون: (أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، ولا تفيد اليقين، ولا يستدل بها في العقيدة)، وهذا باطل، فكل ما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -متواتراً أو آحاداً-، فإنه يفيد العلم، وتبنى عليه العقيدة؛ لأنه صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾ [الحشر: ٧].

فإذا صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث، عمل به في كل شيء، بشرط أن يكون قد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهناك طوائف الآن يشككون في السنة؛ منهم من يقول: (لا يجوز العمل بالسنة مطلقاً، ويكفي العمل بالقرآن

(١) انظر تعريف الحديث المتواتر في: مقدمة ابن الصلاح (١/٢٦٧، ٣٧٢)، والتقريب والتيسير للنووي (ص ٨٥)، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص ٣١)، والتذكرة في علوم الحديث لابن الملقن (ص ١٧).

(٢) انظر تعريف حديث الآحاد في: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص ٣٢)، والخلاصة في معرفة الحديث (ص ٣٢)، والديباج المذهب في مصطلح الحديث (ص ١٢)، ورسالة في أصول الحديث (ص ٦٧).

فقط^(١)، وهناك من يقول: (يؤخذ من السنة المتواتر فقط)، وكلتا الطائفتين ضالتان.

فالواجب على المسلم أن يعتقد أن كل ما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حق، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل بخبر الواحد في وقائع كثيرة: رؤية الهلال؛ كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تَرَأَى النَّاسُ الْهَلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ»^(٢)، وجاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «إِنِّي رَأَيْتُ الْهَلَالَ - قَالَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ: يَعْنِي رَمَضَانَ -، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا بَلَالُ، أَذِنَ فِي النَّاسِ، فَلْيَصُومُوا غَدًا»^(٣)، وهو خبر واحد.

كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسل رسله أحياناً، وما كان يرسل جماعات، والمرسل إليهم يعملون بما بلغهم المندوب عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

-
- (١) عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرَبِ الْكِنْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا، اسْتَخْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا، حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنْ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ». أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد في المسند (٢٨ / ٤١٠)، والدارمي (٦٠٦)، والطبراني في الكبير (٢٠ / ٢٧٤)، وفي مسند الشاميين (٢ / ١٣٧)، والمروزي في السنة (ص ٧٠)، وابن عبد البر في التمهيد (١ / ١٥٠).
- (٢) أخرجه أبو داود (٢٣٤٢)، وصححه ابن حبان (٣٤٤٧)، والحاكم (١ / ٤٢٣).
- (٣) أخرجه أبو داود (٢٣٤٠)، والترمذي (٦٩١)، وابن ماجه (١٦٥٢)، والنسائي (٢١١٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالْإِيْمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ^[١]، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ
وَالتَّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازِمَةِ الْأَوَّلَى^[٢].

الشرح

[١] هذا غلط؛ لأن الإيمان ليس واحداً، وليس أهله سواء، بل الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص، إلا عند المرتبة.

والتصديق بالقلب ليس الناس فيه سواءً، فليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان الفاسق من المسلمين؛ لأن الفاسق من المسلمين إيمانه ضعيف جداً، وإيمان أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعدل إيمان الأمة كلها^(١)، فليس الناس في أصله سواءً. هذا من ناحية أصله.

كذلك من ناحية العمل، الناس يتفاضلون في العمل، منهم كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، هذا العاصي الذي معصيته دون الشرك، فإنه ظالم

(١) فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَيَّرُوا أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». أخرجه البخاري (٣٦٥٥).
وبلفظ آخر فيه: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ تَرَكْنَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا نَفَاضِلُ بَيْنَهُمْ». (٣٦٩٧).
وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَفِيَّةِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». أخرجه البخاري (٣٦٧١).

لنفسه؛ لأنه معرض نفس للخطر، ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾، وهو الذي يعمل الواجبات، ويتجنب المحرمات.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢]، وهذا هو الذي يعمل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات وبعض المباحات من باب الاحتياط.

فالأمة ليست سواء، فصارت ثلاث طوائف: فمنها: الظالم لنفسه، ومنها: المقتصد، ومنها: السابق بالخيرات، فدل على أن الإيثار متفاضل.

[٢] هذا لا يكفي؛ لأن معناه إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأنه إذا صدق بقلبه ونطق بلسانه، فهو مؤمن كامل الإيمان، والناس لا يتفاضلون في ذلك. وهذا خطأ كبير؛ لأن التفاضل يحصل بما ذكره وبالأعمال الصالحة.



وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبَعُهُمْ
لِلْقُرْآنِ^(١).

الشرح

[١] هذا حق، فالمؤمنون كلهم أولياء الله؛ يعني: أحبابه، فالله يحب المؤمنين، ويحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين؛ كما أنه يبغض الكافرين، ويبغض الفاسقين، فالله يحب ويبغض على الأعمال. فكل مؤمن يكون ولياً لله، وتتفاضل الولاية، بعضهم أفضل من بعض، قال جل وعلا: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣]، فمن الناس من ولايته مع الله تامة، ومنهم من ولايته مع الله ناقصة، ومنهم من هو عدو لله بعيد عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فكل من فيه إيمان وتقوى، فهو ولي الله، ولكن الولاية تتفاضل بحسب الأعمال، فمنهم من ولايته كاملة، ومنهم من هو ولي من وجه، وهو المؤمن الفاسق، ولي لله بطاعته، عدو لله بمعصيته ومخالفته.

(١) الولي في اللغة: هو الناصر والمعين، والولاية بالفتح، المحبة والنصرة، والولاية بالكسر الإمارة أو السلطة في غالب استعمال العرب. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٧)، ولسان العرب (١٥/ ٤١١)، ومختار الصحاح (ص ٣٠٦). وفي تعريف أهل العلم قالوا: الولي: هو كل مؤمن تقي ليس بنبي. انظر: منهاج السنة (٧/ ٢٨)، وفتاوى مهمة لعموم الأمة (ص ٨٤).

ومنهم من هو عدو خالص كالكافر والمشرِك.

هذا هو الحق، أما من يرى أنه ليس لله ولي إلا من بُنيَ على قبره مشهد

أو ضريح، والذي ليس عليه ضريح هذا، فليس بولي؛ كما عند القبوريين!
فهذا باطل.



وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،
وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلُوهِ وَمُرُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى^[١].

الشرح

[١] تعريف الإيمان هو - كما سبق - قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان^(١)، وأما ما ذكره المصنف هنا، فهي أركانه كما بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢).

وله خصال كثيرة؛ كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، أَغْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٣)، لكن هذه الستة هي الأركان والدعائم التي يقوم عليها.

وتقدم الكلام عن الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسول، والإيمان بالكتب، تقدم كل هذا، ولكنه متفرق في أول هذه العقيدة.

(١) فقد أخرج البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، وقول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيتِنَا﴾، وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص.

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ لمسلم، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ^[١]، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ
كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ^[٢].

الشرح

[١] يجب الإيمان بهذا كله، فإن جحد شيئاً من هذه الأركان، فإنه ليس
بمؤمن؛ لأنه نقص ركنًا من أركان الإيمان.

[٢] هذا سبق؛ أنه يجب الإيمان بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم - من
سمى الله منهم في القرآن، ولم يسم -؛ فنؤمن بجميع الرسل الذين أرسلهم
الله إلى عباده، فمن آمن ببعضهم وكفر ببعض، فهو كافر بالجميع، لو جحد
نبيًا واحدًا، فإنه يكون كافرًا بجميع الأنبياء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿[النساء: ١٥٠-١٥١].

فاليهود كفار؛ لأنهم كفروا بنبيين كريمين؛ كفروا بعيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وكفروا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنصارى كفار؛ لأنهم جحدوا رسالة النبي
محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذين يقولون اليوم: (اليهود والنصارى مسلمون
ومؤمنون، وإنهم أهل أديان، ويجب التقارب بين الأديان والحوار بين
الأديان)، هذا خلط وضلال - والعياذ بالله -، خلط بين الحق والباطل،

والإيمان والكفر؛ لأنه بعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس هناك دين صحيح إلا الإسلام: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالإسلام نسخ كل ما قبله، وأمر الإنس والجن واليهود والنصارى والأميين وجميع العرب والعجم، أمروا باتباع المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا إيمان إلا باتباع هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ^[١]،

الشرح

[١] الكبائر هي الذنوب التي دون الشرك وفوق الصغائر، وضابط الكبيرة هو: كل ذنب رُتب عليه حد، أو ختم بغضب، أو لعنة، أو نار، أو تبرى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فاعله، فإن هذا كبيرة^(١)؛ كقوله: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).

كل هذه الاعتبارات تدل على أن الذنب كبيرة، ولكنها دون الشرك، فصاحبها لا يخرج من الإيمان، وإنما يكون مؤمناً ناقص الإيمان، أو يسمى فاسقاً، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، لا يكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ولكن لا يمنحون صاحبها اسم الإيمان المطلق، ولكن يمنحونه إيماناً مقيداً؛ فيقال: (مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته).

فلا يقال: (هو مؤمن كامل الإيمان)؛ كما تقوله المرجئة، ولا يقال: (هو خارج من الإسلام)؛ كما تقوله الخوارج والمعتزلة.

(١) الكبائر جمع كبيرة، والكبيرة اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيراً، على أقوال شتى، ذكر الشارح ابن أبي العز عدداً من هذه الأقوال. وأجود الأقوال: أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد بنار أو غضب. وهذا هو المعروف عن الإمام أحمد وعدد من أهل العلم. انظر: شرح الطحاوية (ص ٤١٧)، وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ٢٦٩)، وفتح الباري (١٢/ ١٨٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٥)، وعمدة القاري (١٤/ ٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٤) (١٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذا: فالناس في صاحب الكبيرة التي هي دون الشرك ثلاث طوائف: الخوارج والمعتزلة: أخرجوه من الإسلام، لكن الخوارج أدخلوه في الكفر، والمعتزلة لم يدخلوه، وقالوا: (هو في منزلة بين المنزلتين)، ولكنهم أخرجوه من الإسلام.

المرجئة قالوا: (هو مؤمن كامل الإيمان، طالما أنه يعتقد في قلبه الإيمان -عند جمهورهم-، وينطق بلسانه -عند بعضهم-، فإنه مؤمن كامل الإيمان، ولا تنقص هذه المعاصي من إيمانه، وإن كانت كبائر)، وهذا ضلال -أيضًا.

أما القول الحق، فهو مذهب أهل السنة والجماعة: أن صاحب الكبيرة دون الشرك مؤمن، وليس بكافر، لكنه ناقص الإيمان. فهذا يجب معرفته، ويجب أن ترسخه في عقلك، فأهل الشر زاد شرهم في هذا الوقت، وصاروا يظهرون مذهب الإرجاء؛ ليروجوه على الناس، وليستروا على أنفسهم ما هم فيه من الضلال.

فهذا معرفته من أوجب الواجبات على طالب العلم اليوم.



وَأِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ عَزَّجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦] وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَذْلِهِ^[١]،

الشرح

[١] نعم، هذا هو المذهب الحق: أن أصحاب الكبائر التي دون الشرك ليسوا كفارًا، وأنهم إذا لقوا الله، ولم يتوبوا من هذه الكبائر، فإنهم تحت المشيئة؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ بِقَدَرِ ذُنُوبِهِمْ، ثُمَّ يَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِتَوْحِيدِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، لَا يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، لكن قوله: (عارفين مؤمنين) فيه إجمال، فلو قال: (موحدين) - كما قال أولاً -، لكان أحسن.

وإن شاء الله أمضى فيهم الوعيد، ولكنهم لا يخلدون في النار، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا هو المذهب الحق، بخلاف الخوارج الذين يقولون: (إنهم في النار على أي حال، وإنهم خالدون فيها، فمن دخل النار عندهم لا يخرج منها)، وخلاف المرجئة القائلين: (إنهم لا يمرون على النار أبدًا)، فهذا غلط، بل لا نضمن لهم النجاة، فهم تحت المشيئة، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ بِعَذْلِهِ، وما ظلمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل عَذَّبَهُمْ

بأعمالهم التي أوجبت لهم ذلك، فالله لا يعذب من لم يعصه، ولا يساوي بين العاصي وبين المؤمن المستقيم: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ﴾ (٢٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿[الفلم: ٣٥-٣٦]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۚ﴾ [ص: ٢٨]. هذا استنكار من الله عزَّ وجلَّ، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].



ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ^[١]، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ^[٢]،

الشرح

[١] كما صحت بذلك الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن عصاة الموحدين يخرجون من النار^(١)، إما بفضل الله تعالى، وإما بشفاعه الشافعين بإذن الله تعالى، والشفاعة حق، ولكن لا تكون إلا بإذن الله، وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد؛ لا من الكافرين، ولا من المشركين، ولا من المنافقين.

[٢] بعد إخراجهم من النار، ورد أنهم يخرجون من النار كالفحم محترقين، ثم يلقون في نهر يسمى: نهر الحياة، فتنبت أجسامهم ولحومهم، ثم بعد ذلك إذا هذبوا ونُقوا، أُذن لهم في دخول الجنة، فيدخلون في الجنة^(٢).

(١) كما في حديث الشفاعة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً...». أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (٣٢٥) (١٩٣).

(٢) فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ قَدْ امْتَحَشُوا وَعَادُوا حُمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ - أَوْ قَالَ: حِمَّةِ السَّيْلِ -، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً». أخرجه

البخاري (٥٠٦٠)، ومسلم (٣٠٤) (١٨٤)، (٣٠٦) (١٨٥).

وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ
نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ^[١].

الشَّح

[١] قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن الله لا يسوي
بين أهل طاعته وأهل معصيته، ولا بين أهل الإيثار وأهل الكفر، بل يجازي
كلًّا بعمله.

(وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا
مِنْ وَلَايَتِهِ)، بل ميز بينهم سبحانه في الدنيا وفي الآخرة، ميز بين أهل الطاعة
والمعصية، وبين أهل الكفر والإيمان، في الدنيا وفي الآخرة، ميز بينهم في الدنيا
في صفاتهم وعلاماتهم وأفعالهم، فليست أفعال أولياء الله وأهل الطاعة مثل
أفعال أعدائه ولا أقوالهم ولا تصرفاتهم، انظر إلى الناس الآن، وانظر إلى
تصرفاتهم، انظر إلى تصرفات المتقين والمؤمنين، وانظر إلى تصرفات الفسقة
والعاصين، وانظر إلى تصرفات الكفار والملحدين، هذا في الدنيا.

وفي الآخرة كذلك يميز الله بينهم، فهو لاء يكرمهم بجنته، وهؤلاء
يعذبهم بناره وعقوبته؛ لأنه سبحانه حكيم يضع الأمور في مواضعها،

فلا يضع الرحمة إلا فيمن يستحقها، ولا يضع سُبْحَانَهُوَعَالَى الْعَذَابِ إِلَّا فِي مَنْ
يَسْتَحِقُّهُ.

لكن قوله: (أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ) فيه قصور وإيهام أن الإيمان هو مجرد المعرفة
- كما يقوله غلاة المرجئة -، فلو قال: (أهل طاعته)، لكان أحسن وأوضح.



اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ^[١].

الشرح

[١] هذا من أجل كلام المصنف يرحمه الله!!!

إنه لما ذكر هذه المسائل العظيمة الخطيرة، سأل الله الثبوت ألا يضلّه الله مع أصحاب هذه الضلالات، وأصحاب هذه المقالات الضالة، فهذا من الفقه والحكمة؛ أن الإنسان لا يغتر بعلمه، ويقول: أنا أعرف التوحيد، وأعرف العقيدة، وليس عليّ خطر. هذا غرور، بل عليه أن يخاف من سوء الخاتمة والضلّال، يخاف أن ينخدع بأهل الضلال، كم من معتدل انحرف - خصوصاً إذا اشتدت الفتن -؛ يصبح الرجل مسلمًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، ويبيع دينه بعرض من الدنيا؛ كما صح الحديث بذلك^(١).

الفتن إذا جاءت، يسأل الإنسان الله الثبات^(٢)، ولا يقول: أنا لست على خطر، أنا عارف، وأنا أصلي. نعم، أنت عارف وتصلي، والحمد لله، لكن

(١) فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمسي كَافِرًا، أَوْ يُمسي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». أخرجه مسلم (١٨٦) (١١٨).

(٢) فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». روى هذا الحديث عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منهم: أنس، وعائشة، وأم سلمة، وجابر، والنواس بن سمعان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. =

عليك خطر، وعليك أن تخاف، أنت أفضل أم إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم خاف على نفسه من عبادة الأصنام، مع أنه هو الذي كسرها وحطمها بيده، ولقي في ذلك العذاب والإهانة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ومع هذا يقول: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ولم يقل: أنا الآن نجوت. بل طلب من الله أن يجنبه وبنيه أن يعبدوا الأصنام، فالإنسان يخاف دائماً من ربه عَزَّوَجَلَّ، وكم من مهتد ضل، وكم من مستقيم انحرف، وكم من مؤمن كفر وارتد، وكم من ضال هداه الله، وكم من كافر أسلم، فالأمر بيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.



=أخرجه الترمذي (٢١٤٠) وحسنه، وابن ماجه (١٩٩) وصححه البوصيري، وأحمد (٩١/٦)، وابن حبان (٢٢٣/٣)، وابن أبي عاصم (ح ٢٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩١٩٦)، (٢٩١٩٧)، (٢٩١٩٩)، والطبراني في الكبير (٧٥٩)، والأوسط (١٤٧/٢)، والحاكم في المستدرک (٧٠٦/١)، (٣٥٧/٤)، والبيهقي في الكبرى (٤/٤١٤)، وأخرجه البخاري (٧٣٩١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلِفُ: لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ».

وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ

مِنْهُمْ^(١) [١].

الشرح

[١] هذا فيه مسألتان:

الأولى: أن الصلاة عمل وإحسان، فإذا فعلها الناس -خصوصاً بولاية الأمور-، فإنهم عملوا معروفًا وإحسانًا، وفي ترك الصلاة خلفهم محذور عظيم؛ من شق العصا، وتفريق الكلمة، وسفك الدماء، وهذا خطر عظيم، فيجب أن يتلافى، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا عَلَى مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَصَلُّوا وَرَاءَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢)، هذا من حيث العموم، فكيف بولاية الأمور الذين في منابذتهم ومخالفتهم شق لعصا الطاعة، وتفريق الكلمة، وآثار سيئة على المسلمين؟

هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ يصلون الجمع والجماعات، ويجاهدون في سبيل الله مع كل أمير -برًّا كان أو فاجرًا-، ما لم يخرج عن الإسلام. هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، من عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى عهد الأئمة، وهو الذي عليه إجماع المسلمين من أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: المغني (٢/١٤٩)، ومجموع الفتاوى (٣/٢٨٠ - ٢٨١، ٤/٥٤٢).

(٢) أخرجه الدارقطني (٢/٤٠٢)، والطبراني في الكبير (١٢/٤٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣٢٠/١٠).

المسألة الثانية: الصلاة على جنازة المسلم وإن كان فاسقاً، ما لم يخرج من الإسلام، فهو مسلم له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، أما إذا خرج عن الإسلام، فلا يصلى عليه؛ لأنه ليس بمسلم، وليس كل إنسان يَحْكُمُ على الناس بالردة، إنما يحكم بذلك أهل العلم والبصيرة بالرجوع إلى قواعد أهل السنة والجماعة، أما كل أحد، فلا يحكم بذلك، وإن كانت نيته طيبة ومقصده حسناً، إنما الحكم لأهل البصيرة والراسخين في العلم.



وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا^[١]،

الشرح

[١] نحن لا نشهد لأحد، مهما بلغ من الصلاح والتقوى، لا نشهد له بالجنة؛ لأننا لا نعلم الغيب، ولا نحكم لأحد من المسلمين بالنار مهما عمل من المعاصي، لا نحكم عليه بالنار؛ لأننا لا ندري بما ختم له وما مات عليه^(١)، وهذا في المعين.

فنحن ما لنا إلا الظاهر فقط، وكذلك لا يحكم لأحد بالنار أو بالجنة، إلا من شهد له بذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مثل: العشرة المبشرين بالجنة، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح، وطلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٢).

(١) عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتُ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لِمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا». أخرجه البخاري (٦٤٩٣)، ومسلم (١٧٩) (١١٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) فعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَ فِي نَفَرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ =

وكذلك شهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، شهد له بالجنة^(١)، وكذلك رجل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَا حَيْثُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى

=وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْأَعْمُورِ مِنَ الْعَاشِرِ؟ قَالَ: نَشْدُكُمْوِي بِاللَّهِ، أَبُو الْأَعْمُورِ فِي الْجَنَّةِ». أخرجه الترمذي (٣٧٥٧) وقال أبو عيسى: (أَبُو الْأَعْمُورِ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ: هُوَ أَصَحُّ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ) أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١٦٣٠)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١/١٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة [١٤٢٨] (٢/٦١٩). والحاكم في مستدركه (٣/٣١٦).

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١٨٧) (١١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُكْسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا سَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِيَشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

تَمْضِي فَعَلْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ، ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكَدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدَيْتَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ، دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ^(١)، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفس المقالة، ودخل نفس الرجل، وهذا من باب التأكيد، وإلا فشهادة واحدة تكفي.

الحاصل: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا شهد لأحد بالجنة، فإننا نشهد له بالجنة، ونقطع له بالجنة، وأما غيره، فلا نقطع له، ولكن نرجو له الخير.

(١) أخرجه النسائي (١٠٦٣٣)، وأحمد (١٢٤/٢٠)، وعبد بن حميد (٣٥٠/١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٥٥٩) والبخاري في شرح السنة (١١٢/١٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٩).

وكذلك الكافر المعين لا نحكم عليه بالنار؛ لأنه قد يتوب، ويموت
على التوبة، يختم له بخير، لكننا نخاف عليه، هذا من حيث التعيين.
أما من حيث العموم: فنقطع أن المسلمين في الجنة، ونقطع أن الكفار
من أهل النار.



وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكَ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ^[١]، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^[٢].

الشرح

[١] الأصل في المسلم: العدالة، وهذه قاعدة عظيمة؛ فلا نسيء الظن فيه، ولا نتجسس عليه، ولا نتبعه، لكن إن ظهر لنا شيء، حكمنا به عليه، وإن لم يظهر شيء، فلا نسيء الظن بالمسلمين، فنعامله بما يظهر منه، ونحن لسنا مكلفين بالبحث عن الناس والتحري عنهم والحكم عليهم، لم يكلفنا الله بذلك^(١).

[٢] نحسن الظن بهم، وسرائرهم إلى الله تعالى، ولم نكلف أن نبحث عن الناس وعن أحوالهم، والواجب ستر المسلم وإحسان الظن به، والتآخي بين المسلمين^(٢): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١) فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ فَتَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضْ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ. قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ». أخرجه الترمذي (٢٠٣٧)، وابن حبان (٧٥ / ١٣). وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب).

(٢) فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٥٨٠) (٢٥٨٠).

وَلَا تَرَى السِّيفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السِّيفُ.

الشرح

[١] لا يجوز قتل المسلم، واستباحة دمه؛ لأن الله عصمه بالإسلام، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلٌ»^(١)، فمن أظهر الإسلام ونطق بالشهادتين، ولم يظهر منه ناقض من نواقض الإسلام، فإن دمه حرام؛ فلا يجوز الاعتداء عليه وسفك دمه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»^(٢)، قال هذا في خطبته بمنى يوم النحر.

هل هناك أشد من هذا؟ فحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة؛ لأن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما نظر إلى الكعبة، قال: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ»^(٣).

وجاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦) بنحوه، ومسلم (٣٤) (٢١) بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه (ص ١٩٢).

لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١).

الأول: الثيب الزاني، هو المحصن الذي سبق أن وطأ زوجته في نكاح صحيح، وهما عاقلان بالغان حران، فإذا زنى، رُجم حتى الموت.

الثاني: المسلم إذا تعدّى على المسلم، فقتله ظلماً وعدواناً، وطالب أولياء المقتول بالقصاص، فيقتل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]؛ أي: فرض عليكم، وقال تعالى: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

والثالث: هو المرتد، فيقتل بحد الردة، وما عدا الثلاثة، فدم المسلم محرّم حرمة عظيمة.

كذلك البغي، إن بغى على المسلمين -ولو كان مسلماً-، فالبغاة يقاتلون؛ لأنهم يريدون أن يفرقوا كلمة المسلمين، ويخرجوا على إمامهم، فيجب قتالهم: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، وتُستحل دماؤهم من أجل كفهم عن البغي، ولصيانة جماعة المسلمين وكلمتهم وحفظ الأمن.

وكذلك تستباح دماء قطاع الطريق: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فجزاؤهم على حسب جرائمهم. فهو لاء أحل الله قتلهم؛ لدفع شرهم وعدوانهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَيْمَتِنَا وَوُلاةِ أُمُورِنَا^[١]،

الشرح

[١] هذه مسألة عظيمة، فمن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم لا يرون الخروج على ولاة أمر المسلمين: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»^(١)، فلا يجوز الخروج عليهم -ولو كانوا فساقًا-؛ لأنهم انعقدت بيعتهم، وثبتت ولايتهم، وفي الخروج عليهم -ولو كانوا فساقًا- مفسد عظيمة؛ من شق العصا، واختلاف الكلمة، واختلال الأمن، وتسلب الكفار على المسلمين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ طَائِفَةً خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَرَاكَ^(٢)).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (٣٢) (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: منهاج السنة (٣/ ٣٩١). وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقُلَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا كَانَ مَا تَوَلَّدَ عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِمَّا تَوَلَّدَ مِنَ الْخَيْرِ. كَالَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى يَزِيدَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَابُنِ الْأَشْعَثِ الَّذِي خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْعِرَاقِ، وَكَابُنِ الْمُهَلَّبِ الَّذِي خَرَجَ عَلَى ابْنِهِ بِخُرَاسَانَ، وَكَأَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الَّذِي خَرَجَ عَلَيْهِمْ بِخُرَاسَانَ أَيْضًا، وَكَالَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى الْمَنْصُورِ بِالْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ، وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ). انظر: منهاج السنة (٤/ ٥٢٧-٥٢٨).

وهذا حتى عند الكفار، إذا قاموا على ولي أمرهم، وخرجوا عليه، فإنه يختل أمنهم، ويصبحون في قتل وقتيل، ولا يقر لهم قرار؛ كما هو مشاهد في الثورات التي حدثت في التاريخ، فكيف بالخروج على إمام المسلمين؟ فلا يجوز الخروج على الأئمة - وإن كانوا فاسقاً -، ما لم يخرجوا عن الدين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنْ لَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»^(١)، فالفسق والمعاصي لا توجب الخروج عليهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة، الذين يرون الخروج عليهم، إن كان عندهم معاصي، وحصل منهم فسق، فيقولون: هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون به الخروج على ولاة أمور المسلمين.

فأصول المعتزلة خمسة:

الأول: التوحيد، ومعناه: نفي الصفات، ويرون من يثبت الصفات هو مشرك.
الثاني: العدل، ومعناه: نفي القدر، فيقولون: إن إثبات القدر جور وظلم، ويجب العدل على الله.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على أئمة المسلمين، إن كان عندهم معاصي دون الكفر. وهذا هو المنكر بنفسه، وليس من المعروف في شيء.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤٢) (١٧٠٩) عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: «دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيْنَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

الرابع: المنزلة بين المنزلتين، وهو الحكم على أصحاب الكبائر بالخروج من الإسلام، وعدم الدخول في الكفر.
وأما الخوارج، فيحكمون عليه بالكفر.

الخامس: إنفاذ الوعيد، ومعناه، أن من مات على معصية، وهي كبيرة من الكبائر دون الشرك، فهو خالد مخلد في النار، فهم يوافقون الخوارج في مصيره في الآخرة، ويخالفون الخوارج في أنه في منزلة بين المنزلتين، وألف فيها القاضي عبد الجبار -من أئمتهم-^(١) كتاباً سماه: «شرح الأصول الخمسة».



(١) هو عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني الاسترأبادي المعتزلي صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال وتفسير القرآن، عمر دهرًا في غير السنة، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمئة بالري، ودفن في داره، ومن تصانيفه: «شرح الأصول الخمسة» أي أصول المعتزلة. انظر: تاريخ بغداد (١١/١١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٤٤، ٢٤٥)، والوافي بالوفيات (١٨/٢١)، والأنساب (١/١٣٧)، وشذرات الذهب (٣/٢٠٢).

وَأِنْ جَارُوا^[١]، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ^[٢]،

الشرح

[١] الجور معناه: الظلم، وإن تعدوا وظلموا الناس بأخذ أموالهم، وضرب ظهورهم، أو يقتلون المسلم، فلا يرون الخروج عليهم؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»^(١)، فالصبر عليهم أولى من الخروج؛ لما في الخروج من المفساد العظيمة، فهذا من باب ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، وهي قاعدة عند أهل السنة والجماعة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالصبر على جور الولاة، وإن ظلموا، وجاروا، وإن فسقوا.

[٢] لا يجوز الدعاء عليهم: لأن هذا خروج معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم؛ لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا رأيت أحدا يدعو على ولاة الأمور، فاعلم أنه ضال في عقيدته، وليس على منهج السلف، وبعض الناس قد يتخذ هذا من باب الغيرة والغضب لله عَزَّجَلَّ، لكنها غيرة وغضب في غير محلها؛ لأنهم إذا زالوا، حصلت المفساد.

(١) أخرجه مسلم (٥٢) (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ - ويروي ذلك عن الإمام أحمد - يقول: (لو أني أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان)^(١).

والإمام أحمد صبر في المحنة، ولم يثبت عنه أنه دعا عليهم، أو تكلم فيهم، بل صبر، وكانت العاقبة له، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

فالذين يدعون على ولاية أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة^(٢).

وبعضهم ينكر على الذين يدعون في خطبة الجمعة لولاية الأمور، ويقولون: هذه مdahنة، هذا نفاق، هذا تزلف. سبحان الله! هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بل من السنة الدعاء لولاية الأمور؛ لأنهم إذا صلحوا، صلح الناس، فأنت تدعو لهم بالصلاح والهداية والخير، وإن كان عندهم شر، فهم ما داموا على الإسلام، فعندهم خير، فما داموا يُحْكَمُونَ الشرع، ويقىمون الحدود، ويصونون الأمن، ويمنعون العدوان عن المسلمين، ويكفون الكفار عنهم، فهذا خير عظيم، فيدعى لهم من أجل ذلك. وما عندهم من المعاصي والفسق، فهذا إثمهم عليهم، ولكن عندهم خير أعظم، ويدعى لهم

(١) انظر: حلية الأولياء (٨/ ٩١)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ٤٤٧)، والسير للذهبي (٨/ ٤٣٤)، وفيض القدير للمناوي (٦/ ٣٩٩).

(٢) انظر: شرح السنة للبرهاري رَحِمَهُ اللهُ (ص ٥١)، ونص عبارته: (وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله).

بالاستقامة والصلاح، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، أما مذهب أهل الضلال وأهل الجهل، فيرون هذا من المداينة والتزلف، ولا يدعون لهم، بل يدعون عليهم.

والغيرة ليست في الدعاء عليهم، فإن كنت تريد الخير؛ فادعُ لهم بالصلاح والخير، فالله قادر على هدايتهم وردهم إلى الحق، فأنت هل يئست من هدايتهم؟ هذا قنوط من رحمة الله، وأيضًا الدعاء لهم من النصيحة؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١)، فهذا أصل عظيم يجب التنبه له، وبخاصة في هذه الأزمنة.



(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث أَبِي رُقَيَّْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان - باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ^[١]، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَةً،
مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ^(١)^[٢]، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمَعَاوَةِ^(٢)^[٣].

الشرح

[١] (وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ)، هذا تأكيد لما سبق، حتى ولو حصل منهم ظلم وجور ومعاصٍ وكبائر دون الشرك، فإننا لا ننزع يدًا من طاعتهم، ولا نخرج عليهم ولا نعصيهم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، بل نجاهد معهم، ونشهد الجمع والجماعات والأعياد معهم؛ من أجل اجتماع كلمة المسلمين.

[٢] قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فالله أمر بطاعة ولاية الأمر من المسلمين، أما الكافر،

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على صحيح مسلم (٢٢٩/١٢): «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينزل وحكي عن المعتزلة أيضًا، فغلط من قائله مخالف للإجماع» ا.هـ. وانظر: منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٩، ٥٣٠).

والأدلة على هذا الأصل في السنة كثيرة جدًا، وأفردت بالتأليف، ومن المؤلفات في ذلك: كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، والطرق الحكمية لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، والأحكام السلطانية للماوردي، ومعاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد السلام برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) انظر: شرح السنة للبرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٥١)، وحلية الأولياء (٨/٩١)، وتاريخ دمشق (٤٨٧/٤٨)، والسير للذهبي (٨/٤٣٤)، وفيض القدير للمناوي (٦/٣٩٩).

فلا طاعة له على المسلمين: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]؛ لأنه قال: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؛ يعني: المسلمين. فتجب طاعتهم إلا إذا أمروا بمعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، فلا تطعه في تلك المعصية، لكن ليس المعنى أن تخرج عليه وتنزع الطاعة مطلقاً، بل لا تطعه في تلك المعصية، وأطعه فيما عداها، مما ليس بمعصية، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

[٣] ندعو الله أن يرجعهم إلى الحق، ويصحح ما عندهم من الخطأ، ندعو لهم بالصلاح؛ لأن صلاحهم صلاح للمسلمين، وهدايتهم هداية للمسلمين، ونفعهم يتعدى لغيرهم، فأنت إن دعوت لهم، دعوت للمسلمين.



(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوزَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ^[١].

الشرح

[١] هذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو اتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُخَدَّاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُخَدَّاتَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)، «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(٢)، فلما أمر بالسنة، نهى عن البدعة.

والبدعة: ما أحدث في الدين مما ليس منه^(٣)؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٤)، وكل عبادة وكل عمل يتقرب به العبد لله، وليس عليه دليل من الكتاب ولا السنة، فهو بدعة، وإن كان قصد

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد في المسند (٣٧٣/٢٨)، والدارمي (٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٠/١)، والطبراني في الكبير (٢٤٩/١٨)، وفي الأوسط (٢٨/١)، والحاكم في المستدرک (١٧٤/١) من حديث العُرباضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه النسائي (١٧٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: العين (٥٤/٢)، وتهذيب اللغة (١٤٢/٢)، والصحاح (١١٨٣/٣)، ومقاييس اللغة (٢٠٩/١).

(٤) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقاً في كتاب البيوع - باب النجش (٣٥٦/٤) مع الفتح، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٣١٧/١٣) مع الفتح.

فاعله التقرب إلى الله، فهو إنما يبعده عن الله، ولا يثاب عليه؛ بل يعاقب، فالسنة: ما كان عليه دليل من الكتاب أو السنة.

والبدع كثيرة جدًّا، فالناس يُحدثون بدعًا كثيرة، فالبدع لا تُقرّ، ولا يُعمل بها مهما كانت وممن صدرت، ومن البدع ما يعمل من الاحتفالات بالمولد النبوي، فهو بدعة، ليس عليه دليل من الكتاب ولا السنة ولا هدي الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا من هدي القرون المفضلة التي شهد لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيرية، إنما أحدث بعد هذه القرون لما فشا الجهل، وأول من أحدث المولد: الشيعة الفاطميون^(١)، ثم أخذه الأغرار المنتسبون لأهل السنة عن حسن نية وقصد، ويزعمون أنه من محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس ذلك من محبته، إنما المحبة بالاتباع لا الابتداء:

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ مِمَّنْ يُحِبُّ مُطِيعُ^(٢)

(١) فرقة من فرق الإسماعيلية، ويسمون بالفاطميين، كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويقولون: إنهم شيعة. والظاهر عنهم الرفض، وكان باطنهم الإلحاد والزندقة، والمتسمون بالخلافة من العبيدين أربعة عشر: ثلاثة بالمغرب: المهدي، والقائم، والمنصور، وأحد عشر بمصر: المعز، والعزیز، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والأمر، والحافظ، والظافر، والفاخر، والعاقد، وكان ابتداء أمر مملكتهم سنة بضع و تسعين و مائتين، وانقراضها في سنة سبع و ستون و خمسمائة، قال الذهبي: «وهي الدولة المجوسية واليهودية لا العلوية والباطنية لا الفاطمية وكانوا أربعة عشر متخلفًا لا مستخلفًا» انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٢/١٥)، والرد على المنطقيين (ص ٢٨٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٦٤).

(٢) شطر بيت مأخوذ من بيتين لعبد الله بن المبارك، انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٥١)، وتاريخ دمشق (٣٢/ ٤٦٩)، وينسبان أيضًا لأبي العتاهية، ومحمود بن الحسن الوراق، وغيرهما.

فعلامه المحبة الصادقة: الاتباع، أما الابتداء، فهو علامة على الكراهة؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من البدعة، وأنت تحييها وتحديثها، فمعنى ذلك أنك تكره السنة، وإذا كنت تكره السنة، فأنت تكره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كنت تريد الخير، فتب إلى الله، وارجع، أما العناد والمكابرة، فهذا اختيار سيئ لنفسك.

وكذلك نلزم الجماعة، ونترك الشذوذ؛ فلا نأتي بعمل ولا بقول شاذ ليس عليه عمل المسلمين وقولهم؛ لأن هذا يُفَرِّق الكلمة، ويحدث العداوة، فما دام المسلمون يمشون على منهج الكتاب والسنة، فلا نترك ما هم عليه لقول شاذ، فالشذوذ والمخالفات لا تجوز، والحمد لله المسلمون يبحثون عن الحق، وإجماعهم: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ»^(١)، حتى الحديث إن ورد عن طريق وسند صحيح، لكن فيه مخالفة لما هو أصح منه؛ فيسمى حديثاً شاذاً عند المحدثين^(٢).

(١) ورد الحديث عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منهم:

أبو مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٢٥٣)، والطبراني في الكبير (٣٤٤٠)، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الترمذي (٢١٦٧)، وقال: (غريب من هذا الوجه)، والحاكم في المستدرك (١/٢٠٠)، وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٥٠). وانظر: تذكرة المحتاج لابن الملقن (ص ٥١-٥٦).

(٢) قال ابن الصلاح في مقدمته (ص ٧٦): (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ الشَّاذُّ مِنَ الْحَدِيثِ أَنْ يَرْوِيَ الثَّقَةُ مَا لَا يَرْوِي غَيْرُهُ، إِنَّمَا الشَّاذُّ أَنْ يَرْوِيَ الثَّقَةُ حَدِيثًا يُخَالِفُ مَا رَوَى النَّاسُ). وانظر في معنى الحديث الشاذ: التقريب والتيسير للنووي (ص ٤٠)، والمنهل الروي (ص ٥٠)، ومشیخة القزويني (ص ١٠٤).

فيجب التثبت في هذه الأمور، ولا ننبش في أقوال وأفعال مهجورة ونؤلف فيها، ونشوش على الناس أمور دينهم، والشذوذ: مخالفة ما عليه جماعة المسلمين، والخلاف ضد الاتفاق، والفرقة ضد الاجتماع، والشذوذ ضد الائتلاف، أما أن نبحث عن الشاذ، فهذا تضليل للأئمة وتجهيل لهم، وهل أنت أوتيت علماً أكثر من علمهم، وخصصت بعلم لم يصلوا إليه؟! وما آل إليه بعض الناس من هذه الأمور في العصور المتأخرة التي يفسو فيها الجهل، وأغلب ما يصدر ذلك عن واحد متعالم، وليس بعالم، ولم يدرس العقيدة الصحيحة والفقه، إنما تفقه على نفسه، وصار يضيف إلى دين الله ما ليس منه، وهذه مصيبة، فالعلم ليس بفوضى؛ إنه يحتاج إلى ضوابط وفقه ودراية.



وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ^[١].

الشرح

[١] المحبة عمل قلبي، والمحبة على قسمين:

أولاً: محبة طبيعية؛ كمحبة الإنسان لأهله وزوجته وأولاده، ومحبة لأصدقائه، ومحبة للأكل والشرب، فهذه المحبة لا تدخل في أمر العبادة.

ثانياً: محبة دينية، وهذه على نوعين:

النوع الأول: محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي أعظم أنواع العبادة، يقول ابن القيم^(١):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ	مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَيْكُ الْعِبَادَةُ دَائِرٌ	مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرُ رَسُولِهِ	لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

(وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ)؛ أي: منتهى حبه، وتدور عليها أمور العبادات كلها، فهي نوع عظيم من أنواع العبادة، لا يجوز أن يُحب أحد مع الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، هذا شرك في المحبة، التي هي أعظم أنواع العبادة، ولذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فالمؤمنون لا يحبون إلا الله، ومحبتهم أشد من محبة أهل الأصنام لأصنامهم؛ لأن محبة الله لا تنقطع

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢٥٣/١).

في الدنيا ولا في الآخرة، أما محبة غيره من المعبودين، فتقطع في الآخرة، وتحصل العداوة بين من عبد من دون الله ومن عبده: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]، ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَلَيَعَنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

النوع الثاني: المحبة في الله ولأجل الله، وذلك بأن تحب ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، وتحب أهل الإيثار والتقوى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فأنت تحبهم؛ لأن الله يحبهم، وفي مقدمة هؤلاء: الملائكة، والأنبياء والرسل، والأولياء والصالحون، وجميع المؤمنين.

وهذه تسمى المحبة في الله، وهي أوثق عرى الإيثار؛ كما جاء في الحديث: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»^(٢)، فتحب أولياء الله؛ لأن الله يحبهم، وتبغض أعداء الله؛ لأن الله يبغضهم، فيكون الحب

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٢/٦)، والحاكم (٥٢٢/٢)، والطبراني في الكبير

(١٠٣٥٧)، والبيهقي في شعب الإيثار (٧٣/١٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه أحمد في المسند (٢٨٦/٤) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبغض من أجل الله، وليس طمعاً في الدنيا، فلا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي ويعادي الله.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُوَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا»^(١).

وهذه المحبة تبقى في الدنيا والآخرة، وأما محبة الدنيا، فتتقطع، وتكون عداوة في الآخرة: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وتبغض الشخص من أجل الله، وليس من أجل أنه أساء إليك؛ بل تبغضه؛ لأنه عدو لله، وهذه ملة إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الحب والبغض في الله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(٢)، فالحب في الله والبغض في الله أمره

(١) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٤/٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٣٥/٥، ٩٣٦) موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ تَنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ. وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُوَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا». وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضُ فِي اللَّهِ...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (٩١) (١٠٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ =

عظيم؛ لأنه فرقان بين الحق والباطل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فالمؤمن يكون عنده فرقان، يفرق بين هذا وهذا.

وقد ذكر العلماء أن الناس في المحبة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: منهم من يُحِبُّ محبة خالصة، ليس معها بغضاء، وهم الملائكة والرسول -عليهم الصلاة والسلام-، وخُلِّصَ المؤمنون -كالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، وكذلك السلف الصالح وأهل السنة والجماعة؛ لصفاء ما هم عليه من العقيدة وما هم عليه من الحق؛ لطاعتهم لله ورسوله.

القسم الثاني: من يُبْغِضُ بغضًا خالصًا ليس معه محبة، وهم الكفار أعداء الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]؛ أي: أحباء تحبونهم، وتوالونهم، وتناصرونهم، وتدافعون عنهم، بل الواجب التبرؤ منهم؛ لأنهم أعداء الله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبْتَهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ».

مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]، والمقصود بالروح هنا: قوة الإيمان.

القسم الثالث: من يجتمع فيه محبة وبغض، وهو المؤمن العاصي؛ يحب من وجهه، ويبغض من وجهه، تحبه لما فيه من الخير والطاعة، وتبغضه لما فيه من المعاصي والمخالفة، هكذا ينبغي على المسلم أن يميز.

والمحبة بابها باب عظيم، ينبغي التنبه له ومعرفته؛ لأن عليه مداراً عظيماً في العقيدة وأمور الدين، فالإنسان لا يمشي إمعة؛ لا يدري من يحب ومن يبغض، بل يجعل المحبة والبغضاء ميزاناً يفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، ولا يجعله ميزاناً دنيوياً وهوى، فمن وافقه على دنياه وهواه، وأعطاه شيئاً من الدنيا، أحبه، ولو كان من أكفر الناس وأفسقهم، وإن لم يعطه شيئاً، أبغضه، ولو كان من أصلح الصالحين، فهذا لا يجوز.



وَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ^[١].

الشرح

[١] هذه مسألة عظيمة، وهي مسألة العلم، فالإنسان لا يقول ما لا يعلم، إن علم شيئاً، قال به، وإن جهل شيئاً، فلا يقول به، ولا يقول في أمور الدين والعبادات، ولا يدخل فيها بغير علم، بل يتوقف، ويقول: الله أعلم.

والإمام مالك إمام دار الهجرة جاءه رجل، فسأله عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربع منها، وقال في الباقي: لا أدري، فقال الرجل: أنا جئتك من كذا وكذا على راحلتي، وتقول: لا أدري؟ قال له الإمام: اركب راحلتك، وارجع إلى البلد الذي جئت منه، وقل: سألت مالكا، فقال: لا أدري!!^(١).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سئل عن شيء لم ينزل عليه فيه وحي، فإنه ينتظر حتى ينزل عليه وحي، كذلك الصحابة إذا سألهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء لا يعلمونه، قالوا: (الله ورسوله أعلم)، لا يتخرون.

فهذا الباب عظيم وخطير، والله عَزَّ وَجَلَّ جعل القول عليه بغير علم مرتبة فوق الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ

(١) انظر: تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٢٢)، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٧٣)، وتفسير القرطبي (٢٨٦/ ١).

وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

يا أخي، يسعك أن تقول: لا أدري. ومن قال: لا أدري، فقد أجاب، ولا تتخرص وتخوض في أحكام الشرع بغير بصيرة، وقول: (لا أدري) فيما لا تعلم، ليس نقصاً فيك، بل العكس، هو كمال؛ لأنه ورع وتقوى، والناس يحمدونك على هذا، كثير من المنتسبين إلى العلم - وبخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي قل فيها الفقهاء / وكثر القراء - يفتون، ويحكمون، ويتخطون في الأحكام الشرعية في وسائل الإعلام وغيرها بغير بصيرة، ومن فضل الله أنهم انكشفوا أمام الناس بجهلهم، وفضحهم الله عَزَّوَجَلَّ، ولو أنهم ستروا أنفسهم، وتوقفوا عما ليس لهم به علم، وتورّعوا؛ لكان ذلك أكمل وأجل لهم عند الله وعند الناس، فلنعتبر بهذا.



وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخَفَيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ^[١].

الشَّحْ

[١] لماذا جاء بهذه المسألة -وهي مسألة فقهية- في العقيدة؟
لأن هذه المسألة أنكرها المبتدعة، وأثبتها أهل السنة، والمسح على الخفين تواترت به الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
ومن اشتهر عنهم إنكار المسح على الخفين: الرافضة^(١)، ويخالفون أهل السنة والجماعة في ذلك، ويخالفون الأحاديث الثابتة، فالمسح ثابت؛ يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، وهذه رخصة وتسهيل من الله على عباده.

فالرافضة ينكرون المسح على الخفين، ويقولون بالمسح على الرجلين، وهذا من أكبر المغالطة، فلا أحد يقول بالمسح على الرجلين، وهكذا من ترك الحق، ابتلاه الله بالباطل.

استدل الرافضة على المسح على الرجلين بقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] بقراءة الجر؛ حيث عطف الأرجل على

(١) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سموا (رافضة) لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٦ وما بعدها)، والفرق بين الفرق (ص ١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٥٢).

الرؤوس في هذه القراءة، والرؤوس ممسوحة، وعندهم الكعبان معقد الشراك، مجمع القدم مع العقب، ويسمى عرش الرّجل.

وعند أهل السنة والجماعة أن المراد بالكعيين: العظمان الناتئان في أسفل الساق، مجمع الساق مع الرجل، فالمسح للرجلين باطل؛ لأن المشهور من قراءة الآية: الفتح، بالعطف على المغسولات، على ﴿وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وأدخل المسح بين المغسولات من أجل الترتيب، ولو آخر، لفهم أن مسح الرأس يكون بعد غسل الرجلين.

أما قراءة (وَأَرْجُلُكُمْ) بالجر، فهي صحيحة، ولكن عنها أربعة أجوبة: الجواب الأول: أن وجه الجر هنا على المجاورة، وهذه لغة عند العرب؛ مثل أن تقول: هذا جحر ضبّ خربٍ، (خربٍ) ليست صفة لضب، إنما هي صفة لجحر، وجحر مرفوع، ولكن من أجل المجاورة، ومن أجل سهولة النطق جُرّت للمجاورة.

الجواب الثاني: أن المراد بالمسح: الغسل، فالغسل يسمى مسحًا، تقول: تمسحت بالماء؛ يعني اغتسلت به، فالمراد بمسح الرجلين غسلهما، بدليل قراءة النصب.

الجواب الثالث: أن المشهور من القراءتين قراءة النصب، وهنا لإشكال.

الجواب الرابع: أن غسل الرجلين هو صفة وضوء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي نقلها عنه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم يرد في حديث واحد -ولو

ضعيف- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسح رجله، وكذلك ما ثبت ذلك عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل لما رأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً في رجله لمعة لم يصبها الماء، أمره بإعادة الوضوء، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»^(١)؛ لأن صاحبها يغفل عنها، وقد لا يصبها الماء، وذلك بسبب التساهل والغفلة، والأمر في هذا واضح.



(١) أخرجه البخاري (٦٠، ٩٦، ١٦٣)، ومسلم (٢٨) (٢٤٢).

وَالْحَجَّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولَى الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرَّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهَا^[١].

الشَّرْح

[١] تقدمت مسألة الصلاة خلف الأئمة، سواء كانوا أبراراً أو فجاراً، فنصلي خلفهم امتثالاً لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أمرنا بطاعتهم، ونهانا عن مخالفتهم، والصحابه -رضوان الله عليهم- امتثلوا أمره، فكانوا يصلون خلف الأمراء، وإن كانوا يفعلون بعض الكبائر، مثل الحجاج وغيره. وهذا الفعل من أجل جمع الكلمة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلاف الخوارج والمعتزلة.

وقوله: (وَالْحَجَّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ): يجب على المسلمين كل سنة أن يقيموا الحج، أما الأفراد: فإذا حج أحدهم مرة واحدة، فإنه تكفيه، ومن زاد، فتطوع.

ومن الذي يقيم الحج؟ هو إمام المسلمين هو الذي يقود الحجاج، ويعلن يوم عرفة، ويقف بهم بعرفة، ويفيض إلى مزدلفة، وهكذا يتبعونه في المشاعر، وسواء الإمام أو من ينوب عنه، ولا يكون الأمر فوضى.

وأهل السنة والجماعة يحجون مع إمامهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضَحِّي النَّاسُ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقال: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ).

هذه أمة الإسلام، يصومون جميعاً إذا اتفقت المطالع، ويحجون جميعاً، ويصلون العيد جميعاً، فالجماعة من سمة أهل السنة، والافتراق من سمة أهل البدع والضلال.

والجهاد المراد به: قتال الكفار والبغاة من المسلمين وقتال الخوارج، نقاتل مع إمام المسلمين؛ فنقاتل البغاة لبغيهم، وليس لكفرهم: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، وقتال الكفار من أجل نشر التوحيد، وقمع الشرك.

وقتال الكفار على نوعين:

النوع الأول: قتال دفاع، وهذه الحالة تكون في حالة ضعف المسلمين، فإنه إذا داهم العدو بلادهم، وجب عليهم قتالهم، فيجب على جميع من يحمل السلاح قتالهم؛ من أجل دفع العدو عن أرضهم.

النوع الثاني: قتال طلب، وذلك إن كان المسلمون أقوىاء، فإنهم يغزون العدو في بلادهم، ويدعونهم إلى الله، فإن أجابوا، وإلا قاتلوهم من أجل إعلاء كلمة الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الجهاد مر بمراحل:

المرحلة الأولى: كان منهيًا عنه فيها، وهذا يوم كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون بمكة، فكانوا مأمورين بكف الأيدي وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [النساء: ٧٧]، فالمنع لأن المسلمين لا يستطيعون، وليس لهم دولة ولا قوة، وكان الله يأمر نبيه بالصبر والصفح والانتظار، إلى أن يأتي الفرج، ومن قاتل في هذه المرحلة، فإنه يكون قد عصى الله ورسوله؛ لأنه يترتب على القتال في هذه المرحلة الإضرار بالمسلمين وبالدعوة، وتسلب الكفار على المسلمين.

المرحلة الثانية: لما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وقامت دولة الإسلام، أُذن له بالقتال، ولم يؤمر: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [٣٩] الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، فأذن لهم بدون أمر، فكانت هذه تهيئة لهم، فالأمور الشاقة يشرعها الله شيئاً فشيئاً؛ من أجل التسهيل على النفوس.

المرحلة الثالثة: أُمر بقتال من قاتل، والكف عمن لم يقاتل: ﴿ وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وهذا يسمى قتال الدفع.

المرحلة الرابعة: لما قوي المسلمون، وكانت لهم شوكة، وللإسلام دولة، أُمروا بالقتال مطلقاً: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُفُّوا كُفَّهُ لِّلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فأمر الله بالقتال مطلقاً، فلما صاروا متهيئين، ولهم قوة، وعندهم استعداد، فشرع رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغزو؛ غزوة بدر، وأحد، والخندق، وهكذا، حتى جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ثم توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم حصلت الردة، فقاتلهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما فرغ منهم، شرع في الجهاد للكفار، فجيّش الجيوش لقتال فارس والروم، وتوفي، ثم جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فواصل الفتوح حتى أسقط دولة كسرى وقيصر، ونشر الدين، وصارت سيطرتهم على جميع الأرض مشارقها ومغاربها، هذا هو القتال في الإسلام.

ومن ينظم القتال ويقوده؟ هو الإمام، فنحن نتبع الإمام، فإن أمرنا بالغزو، نغزو، ولا نغزو بغير إذن الإمام؛ فهذا لا يجوز؛ لأنه من صلاحيات الإمام: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

فالقتال من صلاحيات الإمام، فإذا استنفر الإمام الناس للقتال، وجب على كل من أطاق حمل السلاح، ولا يشترط في الإمام الذي يقيم الحج والجهاد أن يكون غير عاصٍ، فقد يكون عنده بعض المعاصي والمخالفات، لكن ما دام أنه لم يخرج من الإسلام، فيجب الجهاد والحج معه، وصلاحه وقوته للمسلمين، وفساده على نفسه، أما الجهاد والحج، ففي صالح المسلمين، كذلك الصلاة، فإن أصاب، كنا معه، وإن أخطأ، فنتجنب إساءته، لكن لا نخرج ونشق عصا الطاعة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وعليه تقوم مصالح المسلمين.

أما أهل البدع والضلال، فيرون الخروج على ولاة الأمور، وهذا مذهب الخوارج، ونحن نبرأ إلى الله من هذا المذهب!

وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ^[١].

الشَّرح

[١] الإيمان بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هو أحد أركان الإيمان.

وهذه الأصول موجودة في القرآن: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾
[البقرة: ٢٨٥]، فتؤمن بالملائكة، وأنهم خلق من خلق الله، وأنهم من عالم الغيب،
لا نراهم، خلقهم الله من نور^(١)، ووكل إليهم أموراً، يقومون بتنفيذها والقيام
بها، كل له عمل موكل به، ومع ذلك فهم يعبدون الله عَزَّجَلَّ لا يفترون:
﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿عِبَادُ مَكْرُومٍ
لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] وهم
أقسام، ومن أقسامهم:

الحفظة: وهم الذين وكل الله إليهم حفظ بني آدم، وحفظ أعمالهم،
فكل عبد من بني آدم معه أربعة يحفظونه بالليل والنهار؛ اثنان حفظة، واحد
عن اليمين وواحد عن اليسار، الذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي
عن اليسار يكتب السيئات: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]،

(١) أخرجه مسلم (٦٠/٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مَاءٍ وَصِفَ لَكُمْ».

وملكان آخران؛ واحد أمامه وواحد خلفه، يحفظونه من الاعتداء عليه، ما دام الله قد كتب له البقاء: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، فالملائكة يدفعون عنه الأخطار، فإذا تم الأجل، تخلوا عنه، فأصابه ما كتب الله له، فنحن نؤمن بهذا، وإذا آمنا بذلك، فإننا نستحيي من الملائكة الكرام، فلا نعمل أعمالاً سيئة، ولا نتكلم بألفاظ باطلة؛ لأنها تسجل علينا.



وَنُؤْمِنُ بِمَلِكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ^[١].

الشرح

[١] قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]؛ يعني: من الملائكة، فالرسل قد يكونون من الملائكة، وقد يكونون من البشر: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال في آية أخرى: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١].

ففي بعض الآيات أسند الموت إلى الملائكة، وفي بعض الآيات أسند إلى ملك واحد، فدل هذا على أن الملائكة لهم رئيس، هو ملك الموت.

ومسألة الموت لا أحد ينازع فيها، أما ملك الموت وأعوانه، فينكرهم بعض بني آدم، ولكن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإسلام والإيمان الثابتة بالكتاب والسنة، فمن أنكر وجود الملائكة عموماً، أو ملكاً من الملائكة، فهو كافر؛ لأنه جحد ركنًا من أركان الإيمان.



وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ
وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ
الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - ^(١) [١].

الشرح

[١] ذكر شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية أن الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه كل ما بعد الموت؛ من عذاب القبر ونعيمه، ومن البعث، ومن العرض، والحساب، والميزان، وتطابير الصحف، والجنة والنار، ومن أنكر شيئاً منها، فإنه لا يكون مؤمناً باليوم الآخر ^(٢).

واليوم الآخر وما فيه من أمور الغيب التي لا ندخل فيها بعقولنا وأفكارنا، إنما نعتمد على ما جاء في الكتاب والسنة، ولا نتدخل في هذه الأمور، ولا نقول فيها إلا بالدليل.

والقبر برزخ بين الدنيا والآخرة، والبرزخ معناه: الفاصل بين شيئين: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ^(٣).

(١) قال ابن العز في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٠): (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به) اهـ.

(٢) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).

(٣) انظر: العين (٤/ ٣٣٨)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٧٠-٢٧١)، والصحاح (١/ ٤١٩)، ولسان العرب (٣/ ٨).

القبر محطة انتظار، وينتقل الناس بعده إلى البعث والحساب، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الدَّورَ ثَلَاثٌ^(١):

الأولى: دار الدنيا؛ وهي محل العمل والكسب من خير أو شر.
الثانية: دار البرزخ، وهي دار مؤقتة، ولهذا يخطئ من يقول: مثواه الأخير.

الثالثة: دار القرار، وهي الجنة أو النار: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

فإذا وضع الميت في قبره، ودفن، وانصرف الناس عنه - «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ»؛ كما في الحديث-، فإنه تُعاد روحه في جسده، وهذه حياة برزخية، لا يعلمها إلا الله، والله على كل شيء قدير، وبعد أن تُعاد روحه في جسده، ويُحيا حياة أخرى، «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟»، فإن أجاب بجواب صحيح، فاز وريح، وصارت حفرة روضة من رياض الجنة، ثم يوم القيامة يصير من أهل الجنة، وإن أخفق في الجواب، ولم يجب، فإن قبره يصير حفرة من حفر النار، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قبره، حتى تختلف عليه أضلاعه^(٢)، والأول يوسع له

(١) انظر: الروح (ص ٦٣).

(٢) ورد في فتنه القبر أحاديث، منها: حديث البراء بن عازب، رواه أحمد في المسند (٢٨٧/٤)، وأبو داود في سننه (٤٧٥٣)، والطيالسي في مسنده (١٠٢/١) والبيهقي في الشعب (٣٥٨/١) وفيه عند ذكر المؤمن: «فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» وعند ذكر الكافر أو المنافق «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، المجمع (٥٠/٣)، وفي الباب أحاديث أخرى عن غيره من الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ، وانظر: إثبات عذاب القبر للبيهقي.

في قبره مد بصره، ويفتح له باب من الجنة يأتيه من روحها وريحانها، وهذا يضيق عليه في قبره، حتى تختلف عليه أضلاعه، ثم يفتح له باب من النار، فيأتيه من حرها وسمومها - والعياذ بالله!

فالإجابة الصحيحة والتي يُثبت الله قائلها أن يقول: (ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهذا بسبب الإيمان بالله ورسوله، وليس بسبب التعلم أو الثقافة، فمن ليس عنده إيمان، فإنه يتلكأ في الإجابة، وهو المنافق الذي يُظهر الإيمان في الدنيا، ويُبطن الكفر، فإنه لا يستطيع الإجابة، ويقول: «هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه»، فيضرب بمرزبة من حديد، يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان، لصعق: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ^(١).



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَ لَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

وَالْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ [١].

الشرح

[١] قد يقول قائل: الميت يصير ترابًا، فكيف يعذب وهو تراب؟! نقول: الله قادر على أن يعذبه وهو تراب، وقادر على أن يحمي عليه التراب. وقد يقول قائل: ما كل الناس يدفنون، بعضهم يُلقى في البحر، وبعضهم تأكله السباع، فكيف يأتيه العذاب؟ نقول: نعم، يأتيه العذاب في أي مكان كان، وكذلك يأتيه الملكان^(١)، والإيمان بهذا هو من الإيمان بالغيب، ومن الإيمان بخبر الله ورسوله، أما الذي لا يؤمن بذلك، ويعتمد على عقله وفكره، فهذا هو الضلال المبين.

وعذاب القبر ونعيمه دلت عليه أدلة من الكتاب والسنة، بل قال العلماء: إن الأحاديث متواترة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن كذب بالأمر المتواتر، يكون كافرًا^(٢).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧) (٢٧٥٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لِنِسِيِّ لِمَا خُضِرَ: أَيَّ أَبِ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: خَافْتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ».

(٢) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات فتنة القبر، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء -أيضًا- من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فالمعتزلة لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنهم عقلانيون، وهم الذين يبنون الأمور على عقولهم، ويسمون أدلة الشرع ظنية، فأما أدلة العقل عندهم، فهي يقينية، فهكذا يقولون، وهؤلاء هم العقلانيون، وهم المعتزلة ومن سار على نهجهم من العقلانيين في هذه العصور.

ومن أدلة عذاب القبر: قول الله عزَّ وجلَّ في قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فقلوه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، هذا في القبر.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧]، فقلوه: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قالوا: إنه عذاب القبر. وقيل: هو العذاب في الدنيا؛ ما يصيبهم من القتل والسبي وضرب الجزية وغير ذلك. والآية تشمل المعنيتين، وقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والأكبر هو عذاب يوم القيامة.

أما السنة، فتواترت الأحاديث بإثبات عذاب القبر، منها: في الصحيح أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»^(١)، وكذلك الحديث الصحيح الذي أمر فيه النبي

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (١١١) (٢٩٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا =

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستعاذة من أربع: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشْهَدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(١)، وغير ذلك من الأدلة، وقد يشاهد بعض الناس ما يحصل من عذاب القبر من أجل العظة والعبرة.

ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى يوم النشور» ذكر عجائب، وذكر ابن القيم في كتابه «الروح» عجائب.

وقوله: (عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -؛ لَأَنَّ مَا فِي الْقَبْرِ مِنَ النِّعَمِ وَالْعَذَابِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، فَلَا نَبْتَثُ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ الدَّلِيلُ، وَلَا نُنْكِرُ مَا جَاءَ بِهِ، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.



=نُصَفَيْنِ، فَعَرَّزَ فِي كُلِّ قَبْرِ وَاحِدَةٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا».

(١) أخرجه مسلم (١٢٨) (٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (١٢٩) (٥٨٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

وَتُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ
الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ^[١].

الشرح

[١] بعد البرزخ يبعث الناس من قبورهم، فهذه القبور تضم الأجساد وتحفظها، فإذا جاء البعث، فإن الله ينشئ هذه الأجسام كما خلقها أول مرة، لا ينقص منها شيء: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فتعاد كما كانت، بحيث لو مر شخص على رجل يعرفه، لقال: هذا فلان. ثم يأمر الله إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فينفخ في الصور النفخة الثانية، فتطير الأرواح إلى أجسادها.

والمحشر: مجمع الأمم، يجمع الله الأولين والآخرين بعد البعث، فالله على كل شيء قدير، والإيمان بالبعث أحد أركان الإيمان الستة؛ كما في الحديث^(١).

وأنكر البعث المشركون والملاحدة؛ بناء على عقولهم، فقالوا: ﴿أَيُّدَا مَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿[الواقعة: ٤٧-٤٨]، وذكر الله إنكارهم هذا في عدة مواضع؛ مثل: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

(١) سبق تخريجه (ص ١١٤).

والله عَزَّجَلَّ ذكر أدلة عقلية على البعث: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وهذا من باب ضرب المثل، فالذي خلقهم من ماء مهين، ألا يقدر أن يخلقهم من تراب ويعيدهم كما كانوا؟ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْتَنَى﴾ (٣٧) ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٣٨) ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٣٩) ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقْدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

ومن الأدلة: إحياء أرض يابسة قاحلة بيضاء ما فيها شيء، ثم ينزل الله عليها المطر، ففي أيام قليلة تهتز بالنبات.

أليس الذي يحيي الأرض بعد موتها بقادر على أن يعيد خلق الإنسان؟ فهذا شيء معقول وشيء محسوس: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣] بعد أن كانت ميتة فأحيها بالنبات ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَلِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥].

ومن الأدلة على البعث -أيضاً-: أن الله عَزَّجَلَّ لو لم يبعث الناس ويجازيهم، لكان خلقه عبثاً، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى منزّه عن العبث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ (١١٥) ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

فالإنسان الذي يفني نفسه بالعبادة والطاعة في الدنيا، أفيموت ولا يبعث؟! كذلك الكافر يبعث في الأرض فساداً، ويفعل الفواحش يموت ولا يبعث؟! هذا لا يكون من حكمة الله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ

أَنْ تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَخَيَّاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿[الجاثية: ٢١]﴾، وقال سبحانه: ﴿أَفَجَعَلُ السُّلَيْمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿[القلم: ٣٥-٣٦]﴾، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿[ص: ٢٧-٢٨]﴾.

فالمؤمن قد لا ينعم في الدنيا، ويكون في ضيق وشدة، أفلا ينال جزاء عمله؟! والكافر ينعم ويبطش ويفسد في الأرض ولا ينال جزاءه؟! هذا لا يليق بحكمة الله عَزَّوَجَلَّ.

والبعث معناه: القيام من القبور: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[المطففين: ٦]﴾. (وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) كما سبق: أن المحسنين والمسيئين لا ينالون جزاءهم في الدنيا، إنما ذلك في دار الآخرة.

(وَالْعَرْضِ) يعني: على الله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿[الحاقة: ١٨]﴾، ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿[الكهف: ٤٨]﴾، يعرضون على الله عَزَّوَجَلَّ حفاة عراة، غرلاً، أي: غير مختونين^(١).

(وَالْحِسَابِ) على الأعمال: تقرير الحسنات وتقرير السيئات، هذا بالنسبة للمؤمنين، أما الكافر، فإنه لا يحاسب حساب موازنة بين حسناته وسيئاته، وإنما يقرر بذنوبه وكفره؛ لأنه ليس له حسنات.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْطَبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حَفَاةَ عُرَاةَ غُرْلًا».

والمؤمنون منهم من يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً، وهو العرض، ومنهم من يُناقش الحساب، وفي الحديث: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»^(١)، وهذه درجات المؤمنين.

(وَقِرَاءَةُ الْكِتَابِ): صحائف الأعمال التي عملوها في الدنيا، كل يعطى يوم القيامة كتابه وصحيفة أعماله التي عملها في الدنيا، مكتوب فيها كل شيء: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ (٢٠) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٢]، فهذا الصنف من الناس يفرح، ويسره أن يطلع الناس على كتابه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلِّتُنِي لَرَأُوتَ كِتَابِي﴾ (٢٥) ﴿وَلَرَأُوتَ مَا حِسَابِي﴾ (٢٦) ﴿يَلِّتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]؛ يعني: يا ليتني لم أبعث، وكان الموت هو القاضي عليّ، ولم أبعث، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩].

وهذا تطاير الصحف، إما باليمين أو بالشمال.

(١) أخرجه البخاري (١٠٣، ٤٩٣٩، ٦٥٣٦، ٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(وَالْثَّوَابِ وَالْعِقَابِ): الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات.
(وَالصِّرَاطِ)، وهو: الجسر المنصوب على متن جهنم، أحدٌ من السيف،
وأدقُّ من الشعر، وأحرُّ من الجمر^(١)، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم،
فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر
كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر عدواً ومنهم
من يمر مشياً، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من تلقطه كلاليب على حافتي
الجسر، وتقذفه في النار^(٢)، وهذه أمور غيب، فلا يدخل الإنسان عقله فيها،
وكل الناس يمرون على الصراط: ﴿وَلَا مَنكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَّقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴿[مريم: ٧١-٧٢].

(وَالْمِيزَانِ)، وتوزن الحسنات، فإن رجحت حسناته، فاز، وإن رجحت
سيئاته على حسناته، خاب وخسر: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿[الأعراف: ٨-٩].

(١) تكاثرت الأحاديث في وصف الصراط وأحوال الناس عليه، منها ما أخرجه البخاري
(٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها ما
جاء عن أبي سعيد الخدري، وأنس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، رضي الله عن الجميع.
(٢) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢)
من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... فَيَضْرِبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ
مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْرِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ
سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا:
نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ
بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرَدُ ثُمَّ يَنْجُو».

وتكرر ذكر الوزن والميزان في آيات كثيرة، وهذا من عدل الله عَزَّوَجَلَّ،
وأنه لا يظلم أحداً.

والميزان حقيقي، له كفتان: توضع الحسنات في كفه، وتوضع السيئات
في كفة، فأيهم رجحت حسناته، فاز، وأيهم رجحت سيئاته، فخسر: ﴿وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] (١).



(١) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي
رواه ابن حبان في صحيحه (١٠٢/١٤)، والحاكم في المستدرک (٢٢٨/١) وصححه،
وفيه: «يَا مُوسَىٰ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ،
وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وروى أحمد في المسند (١٧٠، ١٦٩/٢)،
نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وقد ورد ذكر الكفة في حديث
البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢١٧/٢)،
والحاكم (٦/١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وقد ورد ذكر اللسان
مع الكفتين عند البيهقي في شعب الإيوان (٢٦٣/١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: «المِيزَانُ
لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ».

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ^(١) [١]، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا^[٢]، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ^[٣]،

الشرح

[١] وما يكون في يوم القيامة: الجنة دار المتقين، والنار دار المجرمين،
قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار:
﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فهما داران باقيتان، وهما المستقر والنهاية.

[٢] والجنة والنار مخلوقتان الآن، هذا مذهب أهل السنة والجماعة،
قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
[البقرة: ٢٤]، وأعدت: فعل ماضٍ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عنده أصحابه
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فسمعوا وجبة - يعني: شيئاً سقط -، فقال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا:
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ
يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»^(٢)، فدل على أن النار قد خلقت،
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحر والبرد: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْ
بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ

(١) انظر: رسالة الرد على من قال بفناء الجنة والنار لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٨٠-٨٧)، ومختصر
الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٥-٣٧٧)، وحادي الأرواح لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٣٣٧-
٣٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ»^(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»^(٢)، وكذلك الميت في قبره يفتح له باب إلى الجنة، والكافر باب إلى النار^(٣)، فهذا يدل على وجود الجنة والنار، وأنكر هذا أهل الضلال، ويقولون: تخلقان يوم القيامة. فالله قدر للجنة أهلاً، وكذلك للنار أهلاً، فعلى حسب عملهم يجازون.

[٣] الجنة لا تُنال بالعمل، إنما هو سبب، وإنما الجنة تنال بفضل الله، فمهما عمل ابن آدم من الأعمال الصالحة - وإن كثرت -، فإنها لا تقابل الجنة، إنما تنال بفضل الله عَزَّجَلَّ، والعمل الصالح سبب: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؛ أي: بسبب ما كنتم تعملون.

ودخول النار بسبب الكفر عدل من الله، أدخله النار لا بظلم، إنما أدخله بسبب عمله.



(١) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٢) أخرجه البخاري (٥٣٣) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه مسلم (١٨٠) (٦١٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٣) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (ص ٢٢٦).

وَكُلُّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فَرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ^[١] .
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ^[٢] .

الشرح

[١] إن كان من أهل السعادة، فإنه يعمل بعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيعمل بعمل أهل الشقاوة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾^(٤) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى^(٥) وَصَدَقَ بِالْحَقِّ^(٦) فَسَيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى^(٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى^(٨) وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ^(٩) فَسَيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿[الليل: ٤-١٠] .

فالأعمال هي التي تحكمك، إن كانت صالحة، فأنت ميسر لليسرى، وإن كانت سيئة، فأنت ميسر للعسرى.

[٢] سبق بحث هذا في القدر، والإيمان بالقدر - كما سبق - هو أحد أركان الإيمان الستة؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَام: فَأَخْبَرَنِي عَنِ

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٧٦، ٥/ ٦٨) من حديث أبي نضرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ فَبَكَى. فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ مِنْ شَارِبِكَ ثُمَّ أَقْرِضْهُ حَتَّى تُلْقَانِي؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْضُ قَبْضَةٍ بِيَمِينِهِ، فَقَالَ هَذِهِ هَذِهِ وَلَا أَبَالِي، وَقَبْضُ قَبْضَةٍ أُخْرَى يَغْنَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى فَقَالَ: هَذِهِ هَذِهِ وَلَا أَبَالِي فَلَا أَدْرِي فِي أَيِ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا» .

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٦).

الإِيَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)، والمؤلف أخذ هذا المعنى من نص الحديث.

فالخير والشر بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بقضاء الله وقدره، لا بد من الإِيَان بذلك.

فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الخير والشر لحكمة: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، يتميز بذلك أهل الإِيَان والتوحيد والانقياد لله، وأهل الكفر والشرك والإلحاد، ولو لم يكن هناك خير، لما حصل التمييز.

فالخير يحبه الله، ويخلقه، ويقدره، والشر يبغضه الله، ويسخطه، ولكن يخلقه ويقدره لحكمة؛ للابتلاء والامتحان، لو لم يوجد الشر، ما ظهر الكفر وعداوة الأنبياء والرسل، ولو لم يوجد الخير، لما ظهر الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموالة والمعاداة، ولا تميز الناس.

قد يعترض معترض، ويقول: الله يبغض الشر والكفر، فكيف يقدر ذلك؟! ونقول: قدر ذلك لحكمة؛ لتمييز الناس: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فنحن لا نعلم المطيع من العاصي إلا بالأعمال، فهي تميز الشقي من السعيد.

فالأمور لا تصلح إلا إذا وجدت المتضادات.

(١) سبق تخريجه (ص ١١٤).

وَالْإِسْتَطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ - مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ -، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الْإِسْتَطَاعَةُ - مِنْ جِهَةِ الصَّحَّةِ، وَالْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْأَلَاتِ -، فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخُطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ^[١].

الشرح

[١] الاستطاعة: هي القدرة من الإنسان، وهي على قسمين:

الأول: استطاعة يتعلق بها التكليف والأمر والنهي.

الثاني: استطاعة يستطيع بها الإنسان الفعل والتنفيذ.

القسم الأول: الاستطاعة التي يتعلق بها التكليف، معناها: الوسع؛ أن يكون عند الإنسان وسع، أن يفعل أو لا يفعل، عنده إمكانية وتمكن، فالتكليف يتعلق بهذه الاستطاعة، فالإنسان الذي ليس عنده تمكن واستطاعة لا يكلف، كالمجنون والصغير، فلا يكلف، فلا يؤمر ولا ينهى، ولكن الصغير إن بلغ سبع سنوات، فإن عنده استطاعة، فيؤمر بالصلاة من باب الاستحباب والتربية، والتدريب على فعل العبادة، فلا تجب عليه إلا إذا بلغ، فيكلف، وهذا النوع يكون قبل الفعل.

القسم الثاني: الاستطاعة التي يكون فيها التنفيذ، وإيجاد الشيء،

فهذه تكون مع الفعل، فالحج -مثلاً- فيه الاستطاعتان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ...﴾ [آل عمران: ٩٧]، فهذه استطاعة تمكن،

فيجب الحج على من يستطيع، والسبيل هو الزاد والراحلة، فيجب عليه الحج إذا وجدهما؛ لأن عنده تمكناً، هذه استطاعة قبل الفعل، أما الاستطاعة مع الفعل -وهو مباشرة الحج-، فقد لا يكون عنده قدرة -مثل المريض المزمّن أو الكبير الهرم-، فهذا لا يستطيع استطاعة تنفيذ وفعل، ويستطيع استطاعة تكليف، فهذا يجب عليه الحج في ذمته.

ومثل دخول وقت الصلاة يوجب الصلاة على المكلف، ويكون التنفيذ بحسب استطاعته، فالمريض يصلي قائماً، فإن لم يستطع، فقاعداً، فإن لم يستطع، فعلى جنب^(١)، فالصلاة تجب عليه على كل حال؛ لأنه في استطاعته ذلك، وهذه الاستطاعة قبل الفعل، أما التي مع الفعل، فقد تكون معدومة نهائياً، وقد تكون موجودة، ولكن ليست تامة، فيجب عليه على قدر استطاعته: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلْ وَجْهَ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِتَعَالَى ۚ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهناك فرق بين الاستطاعتين:

فالأولى: يتعلق الخطاب بها؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والثانية: يتعلق بها التنفيذ.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١١١٧) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَتْ بِي بَوَاسِيرٌ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلَقَ اللَّهُ، وَكَسَبَ مِنَ الْعِبَادِ^(١) [١].

الشرح

[١] هذه المسألة حصل فيها نزاع ومزلة أقدام ومضلة أفهام؛ هل الأفعال مخلوقة لله، أو هي من خلق العباد؟
القول الأول: قول الجبرية والجهمية: إن العبد مجبور، ليس له دخل في الأفعال، فهي محض خلق الله عَزَّجَلَّ، فصلاته التي يؤديها ليس باختياره، إنما هو مجبور.

وهؤلاء غلوا في إثبات قدرة الله، وقولهم هذا ضلال مبين، ومعناه: أن الله يظلمهم، ويعذبهم على شيء ليس لهم فيه اختيار، وليس لهم فيه استطاعة، وإنما الله يعذب العبد على فعل غيره، ويثيبه على شيء لم يفعله، وهذا المذهب أخبث المذاهب.

القول الثاني - وهو مضاد للقول الأول تماماً -، وهو قول المعتزلة، يقولون: الأفعال من إنتاج العبد وإرادته المطلقة ومشيئته، وليس لله تدخل فيها، وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

فهؤلاء غلوا في إثبات قدرة العبد، ويلزم من قولهم أن الله عاجز، وأن الله يشاركه غيره في الخلق والإيجاد، وهذا قول المجوس، ولذلك المعتزلة

(١) انظر مراتب القدر في: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨)، وشفاء العليل لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٢٩، ٤٩).

سُمُّوا: مجوس هذه الأمة^(١)، فالمجوس يقولون: (إن للكون خالقين؛ خالق للخير، وخالق للشر)، والمعتزلة زادوا عليهم، وقالوا: (كل يخلق فعل نفسه)، فأثبتوا خالقين^(٢).

والمذهب: التوسط، مذهب أهل السنة والجماعة، على ضوء الكتاب والسنة قالوا: أفعال العباد هي فعلهم بإرادتهم ومشيتهم، وهي خلق الله عزَّجَل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، فالله منفرد بالخلق والتقدير، والعبد له مشيئته وإرادته، وله فعل، فهو باختياره يذهب إلى المسجد، وباختياره يذهب إلى المسارح؛ لأن عنده قدرة، والإنسان الذي لم يعطه الله قدرة ولا استطاعة،

(١) ورد هذا الحديث بالفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: ابن عمر، وحذيفة، وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وابن عباس، وسهل بن سعد، وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. أخرجه أبو داود (٤٦٩١، ٤٦٩٢)، وابن ماجه (٩٢)، وأحمد في المسند (٤١٥/٩، ٢٥٢/١٠)، والبخاري في مسنده (٣٣٨/٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٩/١)، وابن المستفاض في القدر (ص ١٧٣ - ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥/٣)، والصغير (٣٦٨/١)، ٢/٧١)، والحاكم في المستدرک (١٥٩/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٤٢/١٠) عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ».

(٢) القدريّة هم نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأفكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٩٣): (والقدريّة نفاة القدر جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...) اهـ. ويطلق اسم القدريّة على الغلاة في القدر. انظر: الفرق بين الفرق (ص ١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٧/٨ - ٥٨)، والصفدية (١/٥٠)، ودرء التعارض (١/٣٧١ - ٣٧٤).

فهذا قد عذره الله؛ مثل: المجنون والمكره، فليس عنده إرادة، وليس عنده قصد، أما من عنده إرادة وقصد، فهذا الذي يختار الفعل لنفسه، والعقاب والثواب يقع على فعله، وليس على فعل الله عَزَّجَلَّ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٦٢] [النساء: ٥٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١١٦]، أسند الإيمان إليهم، وكذلك أسند الكفر، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النور: ٥٢]، أسند الأفعال إلى العباد.

والدليل على أن العبد له إرادة وقصد: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأثبت الله سبحانه له مشيئة، وللعبد مشيئة، وجعل مشيئة العبد تحت مشيئته سبحانه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، ﴿شَاءَ﴾؛ أي: باختياره، وفي هذا رد على الجبرية، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، في هذا رد على القدرية.



وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ^[١]، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ^[٢]،

الشَّرْح

[١] قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالله لا يكلف العباد ما لا يطيقون، إلا من باب العقوبة، كما حمل بني إسرائيل بسبب تعنتهم، ﴿فِظَلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١]، فالله عاقبهم، فكلفهم بما لا يطيقون، ولذلك جاء في الدعاء: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالله -فضلاً منه وإحساناً- لا يكلف العباد إلا ما يطيقون -رحمة منه-، فهو رحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

[٢] هذا فيه نظر؛ بل يطيقون أكثر مما كلفهم، ولكن الله يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، فالله وضع عنهم المشقة، وشرع لهم الدين اليسر، ونهاهم عن الزيادة على الاعتدال، فلا يجوز للإنسان أن يصلي كل الليل، وكذلك لا يجوز له ترك الزواج، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ،

وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»^(١)، فالله لا يكلفهم ما يشق عليهم، والله لو كلفهم، لأطاقوا، ولكن لا يرضى لهم المشقة والعسر.



(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٥) (١٤٠١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذًا، أَمَّا إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لِكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي».

وَهُوَ تَفْسِيرٌ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ^[١]. وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ^[٢]،

الشرح

[١] (لَا حَوْلَ)؛ أي: لا تحول من حال إلى حال، (إِلَّا بِاللَّهِ) عَزَّجَلَّ وإعانتة. وكذلك: ليس لك قوة إلا من قوة الله عَزَّجَلَّ، ففي هذا تسليم وبراءة من الحول والقوة، فالإنسان لا يُعجب بحوله ولا بقوته، وإنما ترجع إلى الله عَزَّجَلَّ، فتستعين بالله، فيعينك على الطاعة، ومن التحول من المعصية إلى الطاعة، ومن الكفر إلى الإسلام، فكل شيء بحول الله وقوته، ولو وكلك إلى حولك، لم تستطع، وكذلك الكد والكسب لطلب المال، هذا الكد والتعب منك، ولكن التوفيق ووضع البركة من الله عَزَّجَلَّ.

[٢] لا يقع في ملكه شيء إلا بعلمه وتقديره: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فهو ما قضاه الله وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ، فكل ما يجري في الكون فهو بقضاء الله وقدره.

غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا^[١]، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيلَ كُلَّهَا^[٢]، يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ
وَشَيْنٍ^[٣] ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]^[٤].

الشرح

[١] قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، أثبت
للعبد مشيئته، ولكنها داخله تحت مشيئة الله، وأن العبد لا يستطيع المشيئة
إلا بمشيئة الله.

[٢] مهما عملت من الأسباب ومن الأمور، إذا لم يقدر الله المسبب،
فلا تنفعك الأسباب، وجميع الأعمال لا تنفع إذا لم يُقدِّر الله عَزَّجَلَّ لك النفع بها،
فأنت عليك فعل السبب، والتوفيق على الله، فأنت مأمور بفعل الأسباب.

[٣] فالله يفعل ما يشاء من الخير والشر، والنعمة والنقمة، وهو غير
ظالم لعباده؛ لأنه يضع الأشياء في مواضعها، فيضع النعمة والتوفيق لمن
يتأهل لذلك، ويحرم من التوفيق ومن الطاعة من لا يستحق ذلك، وهو غير
ظالم، فلا يعذب المطيع الصالح، ولا يثيب العاصي على معصيته.

فالله سبحانه الكامل في ذاته، والكامل في أسمائه وصفاته، والكامل في
أفعاله وخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٤] وكذلك لا يُسأل سبحانه عما يفعل؛ لأن كل شيء يفعلُه لحكمة، وواقع موقعه، فأما العباد، فيُسألون؛ لأنهم يخطئون، ويضعون الأمور في غير مواضعها؛ فهناك فرق بين الخالق والمخلوق؛ فالله لا يقع في أفعاله خلل، أما العبد، فعنده ظلم وحسد وكبر، وعنده أمور تقتضي أنه يخطئ في أموره وتصرفاته.



وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنَفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ^[١].

الشرح

[١] هذه مسألة فقهية، ولها تعلق بالعقيدة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١)، فالعبد ينقطع عمله بموته، إلا ما تسبب في بقاءه بعد موته؛ مثل: الصدقة الجارية؛ كوقف مسجد، أو مدرسة يدرس فيها، فما دام نفعها، فأجرها يجري ما دام هذا الوقف ينتفع به.

«أَوْ عِلْمٍ»؛ بأن يكون قد درّس الفقه أو العقيدة، وصار له تلاميذ، فيجري عليه أجر تعليمه، أو ألّف كتبًا تنفع الناس، فيجري أجره، وهذا من العلم الذي علّمه.

«أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، فهو تزوج من أجل إعفاف نفسه، وطلبًا للذرية الصالحة، فجاءه ولد صالح، وهذا مما تسبب فيه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»^(٢)، فإن كان صالحًا يدعو له بعد موته، فإن دعاءه يصل إليه، وهذا من عمله الذي تسبب فيه، فينفعه عمل غيره.

(١) أخرجه مسلم (١٤) (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، والنسائي

(٦٠٠٠)، وأحمد (١٧٦/٤٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وغير هذه المسألة محل الخلاف، قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، منطوق الآية: أن عمل الإنسان لا ينفع غيره، إلا ما تسبب فيه، فأخذ طائفة من العلماء بهذه الآية، وقال: (لا ينفعه إلا عمله مطلقاً)، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بأشياء تنفع الميت من عمل غيره؛ مثل: الدعاء والاستغفار: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، هذا يشمل الأموات أيضاً.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر المسلمين إذا دفنوا أخاهم أن يقفوا على قبره، وأن يستغفروا له، ويسألوا له التثبيت^(١)، كذلك الصدقة تنفع الميت؛ كما في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَتَتْ نَفْسُهَا، وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ، تَصَدَّقْتُ. أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ»^(٢).

كذلك الحج ينفع غيره؛ كما جاءت به الأدلة؛ كما في حديث شبرمة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرَمَةٍ»^(٣)، فهذا عمل للغير

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٣٧/١)، والحاكم في المستدرک (٥٢٦/١)، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ».

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (٥١) (١٠٠٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وابن خزيمة (٣٤٥/٤)، وابن حبان (٢٩٩/٩)، والطبراني في الأوسط (١١٨/٢)، والبيهقي (٣٣٦/٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ =

ينفع الميت، كذلك لما جاءت امرأة تسأل النبي ﷺ عن الحج عن أمها: «إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا»^(١)، فتكون هذه الأشياء -الدعاء والاستغفار، والصدقة، والحج والعمرة-، تكون نافعة للميت من عمل غيره، فتكون مخصصة للآية ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

وغلط طائفة في هذا، وقالت: (ينفع الميت كل شيء من عمل غيره)، فيستأجرون المقرئين يقرؤون للميت، فمثل هذا العمل لا ينفع الميت ولا الحي؛ لأن القارئ أخذ على قراءته أجرة، فليس له ثواب.

ومن ناحية ثانية: أن هذا الأمر مبتدع، ليس عليه دليل، وسبحان الله! لو جعل الأجرة التي يعطيها المقرئ صدقة عن الميت، صار تابعا للسنة، وينفع الميت، أما على وجه البدعة، فلا ينفع الميت ولا الحي، وهذا نتيجة ترك السنة.



= رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ: أَخِي -أَوْ قَرِيبِي- قَالَ: حَبَجْتُ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ».

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَمَلِكِ دِينَ أُكُنْتُ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ».

وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ^[١]

الشرح

[١] هذه من صفات الله عَزَّجَلَّ؛ أنه يجيب من دعاه، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأمر الله عَزَّجَلَّ بدعائه، فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]،... إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالدعاء وإجابة الدعاء، وهذا من كرمه وجوده وإحسانه، يأمر عباده بدعائه؛ ليستجيب لهم، مع أنه غني عنهم، ولكن لعلمه سبحانه وتعالى بحاجتهم أمرهم بدعائه، وفي الحديث: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(١).

والدعاء أعظم أنواع العبادة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢)، وكما أنه أمر بدعائه، نهى عن دعاء غيره والإشراك به في الدعاء، فقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٤٣٨/١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٢٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٢٩٨/٣٠) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِهِ أَحَدًا ﴿ [الجن: ٢٠]، ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فلا يجوز دعاء غير الله، ومن دعا غير الله، فهو مشرك، سواء كان المدعو ملكًا أو نبيًا أو وليًا، فقد أشرك الشرك الأكبر: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]، ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤]، فسماه شركًا، وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فالدعاء لا يكون إلا لله، فلا يدعى أحد من دونه من الأحياء أو الأموات، أيًا كان هذا المدعو.

والدعاء على قسمين:

القسم الأول: دعاء عبادة، وهو الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ في أسمائه وصفاته وأفعاله، فالذي يسبحه، ويكبره، ويحمده، ويشني عليه، قد دعاه دعاء عبادة.

القسم الثاني: دعاء مسألة، وهو طلب الحوائج من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلاهما تضمنته سورة الفاتحة، فأولها إلى نصفها دعاء عبادة، إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وآخر السورة دعاء مسألة.

والعلماء يقولون: دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

والله عَزَّوَجَلَّ وعد من دعاه أن يستجيب له، وقد يقول قائل: أنا دعوت، ولم يستجب لي؟

والجواب أن يُقال: المانع من عندك أنت، الدعاء سبب من الأسباب، والنتيجة لا تحصل إلا إذا انتفت الموانع، فقد يكون مانع من الموانع منع استجابة دعوتك، إما أن تكون دعوت بقلب غافل لاهٍ، فأني يُستجاب لقلب غافل لاهٍ! كما في الحديث^(١)، أو أنك تأكل الحرام، وتشرب الحرام، وتلبس الحرام، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذي «يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(٢).

أو يدعو بإثم أو قطيعة رحم، فلا يُستجاب له، هذا من ناحية.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والطبراني في الأوسط (٢١١/٥)، والحاكم (٦٧٠/١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ».

(٢) أخرجه مسلم (٦٥) (١٠١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

ومن ناحية ثانية: أن الله عَزَّجَلَّ أعلم بمصالحك، قد يعجل لك الإجابة، وقد يؤخرها، وقد يصرف عنك من السوء مثلها، وأنت لا تدري؛ كما في الحديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ»^(١).

أهل الضلال يقولون: (لا حاجة للدعاء؛ لأن الأمر إذا كان قدر، فلا يحتاج إلى دعاء؛ لأنه إذا كان الأمر قدر لك، فإنه سيأتيك، ولو لم تدع، وإن كان لم يقض لك ويقدر، فإنك لو دعوت، لم يحصل لك، ولا يقدر)، وهذا ضلال -والعياذ بالله-، ومخالف لكلام الله عَزَّجَلَّ.

والجواب: أنه لا تعارض بين الدعاء والقضاء والقدر، الذي قضى وقدر هو الذي أمر بالدعاء، والدعاء سبب من الأسباب، والمسبب هو الله عَزَّجَلَّ، وهناك بعض الأشياء قدرت على أسباب، إذا وجدت أسبابها، وجدت مسبباتها، والدعاء سبب.



(١) أخرجه أحمد (٢١٣/١٧)، وابن أبي شيبة (٢٢/٦)، وعبد بن حميد (٢٩٢/١)، وأبو يعلى (٢٩٦/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٨/١) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ^[١]، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرَفَةٌ عَيْنٍ^[٢]، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ^[٣].

الشرح

[١] من صفات الله عَزَّجَلَّ: أنه يملك كل شيء، فكل ما في الكون فهو ملك له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢].

فلا يخرج شيء عن ملكه، والناس وما يملكون فهم ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فلا أحد يفرض ويلزم ويملي على الله شيئاً؛ لأن الناس عباد لله فقراء إليه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وإنما هو سبحانه يدبر الأمر بمفرده، ويجريه على حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢] الله جَلَّ وَعَلَا هو الغني الحميد، والخلق كلهم فقراء إلى الله، وما أحد منهم يمكن أن يستغني عن الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فلا أحد يمكن أن يستغني عن الله، ولو كان عنده ملك الدنيا،

فالملوك فقراء إلى الله، وكذلك الأغنياء، فلا أحد يستغني عن الله؛ لا الملائكة المقربون، ولا من دونهم من الخلق.

[٣] من زعم أنه في غنى عن الله، وأنه مستغن عن الله، فقد كفر وخرج من الملة، فالواجب على العبد أن يظهر لله ضعفه، ولا يعجبه ما هو فيه من القوة والصحة والغنى؛ لأن الأمور بيد الله عزَّ وجلَّ، فلا يمكن الاستغناء عن الله عزَّ وجلَّ.



وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى^[١].

الشرح

[١] من صفات الله عزَّجَل الفعلية: أنه يغضب ويرضى، قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالله يرضى عن عباده، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وهو كذلك يغضب سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، فالله يغضب على من عصاه ويمقتة، والمقت هو أشد البغض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

والمخلوق يغضب ويرضى، ولا مشابهة بين غضب ورضا المخلوق وغضب ورضا الخالق؛ رضا الله وغضبه يليقان به سبحانه، ورضا وغضب المخلوق يليقان به كسائر الصفات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ليس له مثل في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، وإن كانت له أسماء وصفات، وللمخلوق أسماء وصفات، فلا تشابه.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ يشبتون الرضا والغضب لله عَزَّوَجَلَّ وغير ذلك من الصفات، وإن كان جنس هذه الصفات موجوداً في المخلوقين، لكن مع الفارق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، كذلك المخلوق سميع بصير، وقال الله عن نفسه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وقال في أول الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فدل على أن هناك فرقاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وهذا شيء معلوم من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتقاد أهل السنة والجماعة، أما أهل التأويل والضلال، فينفون الأسماء والصفات عن الله؛ لأن جنسها موجود في المخلوقين، ولو أثبتها، اقتضى هذا المشابهة -بزعمه-، وفي الحقيقة هذا لا يقتضي المشابهة، ولكن هذا الفهم عقيم، ويؤولون الغضب بالانتقام، والرضا بالإنعام.

فالواجب التسليم لله ولرسوله وما ثبت عنهما، وأن يترك هذه الترهات والتأويلات، ولذلك لما سئل مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن كيفية استواء الله على عرشه، أطرق مالك رأسه خوفاً وحياء من الله، ثم رفع رأسه وقال: «الاستِواءُ معلومٌ، والكَيفُ مجهولٌ، والإيمانُ بِهِ واجبٌ، والسؤالُ عَنْهُ بدعةٌ»^(١).



(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٠٤ - ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص ١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص ١٣٩).

وَنَحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ^[١]،

الشرح

[١] أصحاب: جمع صاحب، والصحابي هو: الذي لقي الرسول وهو مؤمن به، ومات على ذلك^(١)، فإن آمن به، ولم يلقه، فليس بصحابي، ولو كان معاصراً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كالنجاشي -، وكذلك يشترط الإيمان به والموت على ذلك، فبمجرد الردة والموت عليها تبطل الصحبة وسائر الأعمال، وصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أفضل القرون والأُمم بعد الأنبياء والرسل، وذلك لأنهم أدركوا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا به، وجاهدوا معه، وتلقوا عنه العلم، وأحبهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واختارهم الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحاباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والله يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ حَمْدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) انظر: شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي (٢/ ١٢٠)، والإصابة لابن حجر (١/ ١٥٨)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٦٩).

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩]، والصحابة أفضل القرون؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١)، فهم خير القرون بفضل صحبتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحبهم إيمان، وبغضهم نفاق، قال تعالى: ﴿لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

فالواجب على المسلمين عمومًا حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، بنص الآية؛ لمحبة الله عَزَّجَلَّ لهم، ومحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأنهم جاهدوا في سبيل الله، ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وآزرُوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنُوا به، واتبَعُوا النور الذي أنزل معه، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

فالله لما ذكر المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في سورة الحشر، قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ٨-١٠]، فهذا موقف المسلمين من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بغضاً للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذلك آل بيت الرسول، فلهم حق القرابة وحق الإيمان، ومذهب أهل السنة والجماعة: موالاته أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما النواصب^(١): فيوالون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويبغضون بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك سموا بالنواصب؛ لنصبتهم العداوة لأهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والروافض: على العكس، والوا أهل البيت بزعمهم، وأبغضوا الصحابة، ويلعنونهم، ويكفرونهم، ويذمونهم.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون، فأفضلهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عن الجميع -، الذين قال فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي،

(١) النواصب عند أهل السنة: هم المتدينون ببغض علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم نصبوا له، أي: عادوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: (ويحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤).

فالنواصب هم الذين عادوا أهل البيت، لاسيما علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنهم من يسبه، ومنهم من يفسقه، ومنهم من يكفره؛ كما أشار لذلك شيخ الإسلام. انظر: منهاج السنة (٧/ ٣٣٩).

قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (النواصب هم الذين ينصبون العدا لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض). انظر: شرح الواسطية (٢/ ٢٨٣). النواصب عند الشيعة: هي صفة لكل مسلم سني.

تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ^(١)، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، وهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

ثم الذين آمنوا وجاهدوا قبل الفتح، فهم أفضل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين آمنوا وجاهدوا بعد الفتح، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، والمراد بالفتح: صلح الحديبية.

ثم المهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عموماً، ثم الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن الله قدّم المهاجرين على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في القرآن، قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] وهؤلاء هم المهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم قال سبحانه في الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا

(١) سبق تخريجه (ص ٢٠٣).

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩].

فقدّم المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأعمالهم على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأعمالهم، مما دل على أن المهاجرين أفضل؛ لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم وهاجروا في سبيل الله، فدل على صدق إيمانهم، فجميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يجب حبهم وموالاتهم، ولا نتدخل فيما حصل بينهم من حروب، فما حصل بينهم من الحروب فبتأويل منهم، فهم مجتهدون، فمن أصاب منهم، فله أجران، ومن أخطأ، فله أجر واحد، وكذلك عندهم من الحسنات والفضائل العظيمة التي تُكفّر ما يقع من الخطأ من بعضهم^(١).

فالواجب على المسلمين الترضي عنهم، وطلب العذر لهم، والدفاع عنهم، فمذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يتدخلون فيما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لما لهم من الفضل والسابقة؛ ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ،

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمُرَوِّيَّةَ فِي مَسَاوِيمِ مَنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيْرُ عَن وَجْهِهِ وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ إِمَّا مَجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مَجْتَهِدُونَ مُحْطُوتُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفَرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ). انظر:

وَلَا نَصِيفُهُ»^(١)؛ لفضلهم، فمن تدخل فيما حصل بين الصحابة، وصار في قلبه شيء، فهذا زنديق، فأما من قال: نتدخل فيما حصل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من باب البحث، فهذا خطر عظيم، ولا يجوز، ولذلك لما سُئِلَ عمر بن عبد العزيز عما حصل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال: (أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فيجب أن نطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي»^(٢)، فلا نتدخل فيما حصل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنه من مقتضى الإيمان ومن مقتضى النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم.



(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢٢)(٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْلَدَى عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عَمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَأَنْتُمْ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجِئْنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذِبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا».

وَلَا تُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ^[١]، وَلَا تَنْتَبِرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ^[٢]،

الشرح

[١] الإفراط: الغلو؛ أي: لا نغلو في حب أحد منهم؛ كما غلت الرافضة في حب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -على زعمهم-، وإلا الظاهر أنهم لا يحبونه، ولا يحبون المسلمين عموماً، فغلوا فيه حتى قال بعضهم: (إن علياً هو الله)، وذلك في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخذلهم الأخاديد، وأحرقهم بالنار؛ غيرةً لله عزَّ وجلَّ^(١).

فالغلو ممنوع، سواء في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو غيرهم، قال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، والنبی صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَأَيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»^(٢)، فنحن نحب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لا نغلو فيهم حتى نجعلهم شركاء لله، وندعوهم من دون الله -كما تفعل الرافضة والقبوريون-، فليس هذا حباً للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فحبهم باتباعهم والاقتداء بهم والترضي عليهم.

(١) انظر: البدء والتاريخ (١٢٥/٥)، وتاريخ دمشق (٤٢/٤٧٦)، وتاريخ الإسلام (٣٦١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٥١١/٢)، وميزان الاعتدال (١/٦٢٦)، وفتح الباري (١٥١/٦).

(٢) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/٣٥٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[٢] في هذا إشارة إلى الرافضة الذين يتبرؤون من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وخاصة أبا بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل يكفرون كثيرًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا من التفريط، فلا نُفَرِّط في حبهم؛ لأن التفريط هو ترك محبتهم.



وَبُغِضَ مَنْ يُبْغِضُهُمْ^[١]، وَبَغِيَِرَ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ^[٢]، وَحُبُّهُمْ دِينَ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ^[٣].

الشرح

[١] من يبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنه يبغض الدين؛ لأنهم هم حملة الإسلام وأتباع المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن أبغضهم، فقد أبغض الإسلام؛ فهذا دليل على أنه ليس في قلوب هؤلاء إيمان، وفيه دليل على أنهم لا يحبون الإسلام.

[٢] على ما سبق، فلا يجوز الخوض فيما حصل بينهم؛ بل يجب الإمساك عن ذلك، وأن لا يُذكروا إلا بخير.

[٣] هذا أصل عظيم يجب على المسلمين معرفته، وهو محبة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتقديرهم؛ لأن ذلك من الإيمان، بغضهم أو بغض أحد منهم من الكفر والنفاق، ولأن حبهم من حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبغضهم من بغض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وَنُتِبَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَيُّمَةُ الْمُهْتَدُونَ^[١].

الشرح

[١] لما فرغ مما يجب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من المحبة والولاء، وترك بغضهم وبغض من يبغضهم، وعدم التدخل فيما جرى بينهم، شرع في ذكر الخلافة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي على النحو الذي ذكره؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للصلاة في آخر حياته^(١)، وفي هذا إشارة إلى خلافته، ولذلك قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لما بايعوه: (رضيك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لديننا، ألا نرضاك لدينانا؟)^(٢)، فبايعوه، ولما لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السوابق العظيمة قبل الهجرة وبعدها، وهو أولى الناس بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعده عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعهد من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (١٠١) (٤٢٠) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَعَادَتْ، فَقَالَ: مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنْ كُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٢) انظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء (ص ٤٧)، ومروءة الزمان في تواريخ الأعيان (١١٠/٢٢)، المقفى الكبير (٤٨٨/١).

بإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باختيار من أصحاب الشورى الذين عينهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وفاته من العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم خيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وبعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا هو ترتيب الخلافة، فمن زعم أن الخلافة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو ضال ومخالف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولإجماع المسلمين.

فالشيعة: يزعمون أنها لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويسمون الوصي على الأمة، وإنما قصدهم التهويش وإشعال الفتن بين الناس، فهم ليسوا بأحسن نظراً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فالشيعة يقولون: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلمة، وكل وصف ذميم في القرآن المعني به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عندهم، فيصفونهم بأنهم ظالمون وكافرون وضالون، وهذا مما جعل العلماء ينصون على ذكر الخلافة في كتب العقائد؛ لئلا يتأثر أحد بهؤلاء الأرجاس.

فترتيب الخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على هذا الترتيب هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ لأن الصحابة رتبوا هذا الترتيب، وأجمعوا عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ) (١).



(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ،
نَشَّهْدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ،
وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ، وَسَعِيدُ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ^(١) [١].

الشرح

[١] فهو لاء هم العشرة المشهود لهم بالجنة، وأبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصف
بأنه أمين هذه الأمة؛ لأنه لما عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العهد مع أهل نجران،
وفرض عليهم الجزية، طلبوا منه أن يبعث إليهم أميناً، فاختار أبا عبيدة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا بُعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ
لَهُ النَّاسُ، فَبَعَثَ أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ» ^(٢).



- (١) حديث العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)،
والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (٢٠٩ / ٣)، ولفظ عند الترمذي:
عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ
فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».
- (٢) أخرجه البخاري (٤٣٨١)، ومسلم (٥٥) (٢٤٢٠) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ
الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ
النِّفَاقِ [١].

الشرح

[١] بعد أن ذكر ما يجب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، انتقل إلى ذكر أهل بيت
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول أهل البيت هم أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال تعالى:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
[الأحزاب: ٣٣]، هذا خطاب لهم.

فأول من يدخل في أهل البيت: زوجاته، ثم قرابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم
آل العباس، وآل أبي طالب، وآل الحارث بن عبد المطلب.

فالرافضة: يقدحون في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويصفونها بما برأها الله منه،
وهذا تكذيب لله عَزَّوَجَلَّ، ووصف لله بأنه اختار لرسوله امرأة لا تصلح له،
وهذا كفر بالله، قال تعالى: ﴿الْحَيْثُ لِّلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُثُ لِّلْخَيْثِثِ
وَالْطَّيِّبُ لِّلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُونَ لِّلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيب،
فلا يختار الله له إلا الطيبة.

وذرياته المقصود بهم أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولاد ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
وهم الحسن والحسين وأولادهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هؤلاء هم ذريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَيْرِ
وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ،
فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ^[١].

الشرح

[١] لما فرغ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وما يجب لهم من المحبة والموالاتة، وعدم التنقص لأحد منهم، انتقل إلى الذين يلونهم في الفضيلة، وهم العلماء، فعلماء هذه الأمة لهم منزلة وفضل بعد الصحابة؛ لأنهم ورثة الأنبياء؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(١)، والمراد بهم: علماء أهل السنة والجماعة، أهل العلم والنظر والفقه، وأهل الأثر، وهم أهل الحديث.

فالعلماء على قسمين:

القسم الأول: علماء الأثر، وهم المحدثون الذين اعتنوا بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحفظوها، وذُبُّوا عنها، وقدموها للأمة صافية نقية؛ كما نطق بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبعدوا عنها كل دخیل وكل كذب، فنحو الأحاديث الموضوععة، وبينوها، وحاصروها، فهؤلاء يسمون: علماء الرواية.

القسم الثاني: وهم الفقهاء، وهم الذين استنبطوا الأحكام من هذه الأدلة، وبينوا فقهها، وشرحوها، وبينوها للناس، فهؤلاء يسمون: علماء الدراية.

(١) سبق تخريجه (ص ٥٧).

ومنهم من جمع بين العلمين، ويسمون: فقهاء المحدثين؛ كالإمام أحمد، ومالك، والشافعي، والبخاري.

وكل هؤلاء العلماء لهم فضل، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا»^(١)، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لهم ومدحهم.

فالعلماء قاموا بما أوجب الله عليهم من حماية الدين والعقيدة، فبينوا الأحكام، والمواريث، والحلال والحرام، وبينوا -أيضاً- فقه الكتاب والسنة، فجعلوا للأمة ثروة عظيمة يستفاد منها، ويقاس عليها ما يجد من مشاكل.

والفقه على قسمين:

القسم الأول: الفقه الأكبر، وهو فقه العقيدة.

القسم الثاني: وهو فقه عملي، لا يقل عن الفقه الأكبر من حيث الأهمية، وهو فقه الأحكام العملية.

وفي فضل العلماء جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ ثَلَاثَةَ أَشْهُارٍ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»^(٢)، وذلك لأن نفعهم يتعدى، وفي رواية: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، والنسائي (٥٨١٦)، وأحمد (٤٦٧/٣٥)، والدارمي (٢٣٥)، وابن حبان (١/٢٧٠)، والطبراني في الكبير (٢/١٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٤٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالعلماء لهم احترام ومنزلة، فلا يجوز الطعن فيهم وتنقصهم، حتى لو حصل من بعضهم خطأ في الاجتهاد، فهذا لا يقتضي تنقصهم؛ لأنهم قد يخطئون، ومع ذلك هم طالبون للحق، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»^(١)، وهذا في حق العلماء، وليس المتعالمين؛ لأنه لا يحق لهم أن يدخلوا فيما لا يحسنون.



(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ:
نَبِيُّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ [١].

الشرح

[١] انتقل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء إلى الأولياء.

والأولياء: جمع ولي، والولاية هي: القرب والمحبة، فهم أهل القرب والمحبة من الله عَزَّجَلَّ، وَسُمُّوا بِالْأَوْلِيَاءِ لقربهم من الله، ولأن الله يحبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقد بينهم الله في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس: ٦٢-٦٣]، فالولي لابد أن يجتمع فيه صفتان:
الأولى: الإيثار.

والثانية: التقوى.

والناس في الولاية والبغض على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أولياء الله الخُلَّص من الملائكة والنبين والصدّيقين والشهداء وصالح المؤمنين.

القسم الثاني: أعداء الله عداوة خالصة، كالمشرك، والكافر، والمنافق النفاق الأكبر، فهو لاء أعداء الله ورسوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي

وَعَدَّوْكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴿المتحنة: ١﴾،
 وقال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾
 [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ
 بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
 [المائدة: ٥١].

القسم الثالث: من فيهم ولاية من وجه وعداوة من وجه، وهو المسلم
 العاصي، ففيه ولاية بقدر ما معه من طاعة، وفيه عداوة بقدر ما معه من
 معصية، فكل مسلم ولي لله، ولكن على حسب ما معه من إيمان.

فمن ادعى الولاية، أو ادعيت له الولاية، وليس معه إيمان، وليس فيه
 تقوى، فإنما هو دجال وكذاب.

وقد يدعون الولاية، وهم سحرة وكهنة ومشعوذون وعرافون،
 وقد كتب شيخ الإسلام كتاباً سماه: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء
 الشيطان)^(١)، وبين فيه من يدعي الولاية، ويروج على الناس أشياء يظن أنها
 كرامات، وهي خوارق شيطانية -وسياقي بيانه.

فتجب محبة أولياء الله، والافتداء بهم، وولايتهم، والقرب منهم.

(١) كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ،
 مطبوع والله الحمد بشرح شيخنا العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
 -حفظه الله- في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.

وقوله: (وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ):
رد على الصوفية، فعندهم غلو في الأولياء، وأنهم عندهم أفضل من الأنبياء.
وأهل السنة والجماعة لا يغفلون في الأولياء، وينزلونهم منازلهم، أما الصوفية
الضلال، فيفضلونهم على الأنبياء، يقول قائلهم^(١):

مَقَامُ النَّبُوءَةِ فِي بَرَزَخٍ فَوْيَقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ

وهذا كفر؛ لأن الأفضل الرسل، ثم الأنبياء، ثم الأولياء، وسبب تقديم
الولي على النبي عند الصوفية - على زعمهم - أن الولي يأخذ عن الله مباشرة،
والنبي يأخذ بواسطة.

وقوله: (وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ):

وهذا لا شك فيه، فجميع الأولياء من أول الخلق إلى آخرهم لا يعادلون
نبيًا واحدًا، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.



(١) قائل هذا البيت هو ابن عربي كما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنة (٨ / ٢٢)،
وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٥٥٦).

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ^(١) [١].

الشرح

[١] هذا بحث عظيم، وهو بحث الكرامات، فالكرامة هي: الخارق للعادة^(٢)، فإن كانت على يد نبي، فهي معجزة؛ مثل: معجزة القرآن، فالإنس والجن عجزوا عن أن يأتوا بمثله، وهي أعظم المعجزات، ومثل: معجزة عصا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتسع الآيات، ومثل: إحياء الموتى لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وإن جرت الخارقة على يد رجل صالح، فهي كرامة من الله، أجراها على يده، وليست من عنده؛ مثل: ما حصل لأصحاب الكهف، وما حصل لمريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فكان يأتيها رزقها، وهي تتعبد الله، ولم تخرج من المحراب، وكذلك ما حصل من كرامات لهذه الأمة، وقد ذكر شيخ الإسلام طرفاً منها في كتابه: «الفرقان».

أما إذا جرى الخارق على يد كاهن أو ساحر، فهذا خارق شيطاني، يجري على يده من أجل الابتلاء والامتحان، فقد يطير في الهواء، ويمشي على الماء، ويعمل أعمالاً خارقة للعادة، وهي من أعمال الشياطين.

(١) انظر مبحث كرامات الأولياء في: شرح الطحاوية (ص ٥٥٨)، والعقيدة الواسطية (ص ٤٥، ٤٦)، ولشيخنا صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله - تفصيل ممتع وشافي في هذا الباب. انظر اللآلئ البهية في شرح الواسطية (٢/ ٤٨٩ - ٥١٩).

(٢) انظر تعريف الكرامة في اللغة: لسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٤١)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤).

والضابط: أننا ننظر إلى عمله، فإن كان موافقاً للإسلام، فما يجري على يده كرامة، وإلا فهو من خدمة الشياطين له.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ أَسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فالجني استمتع بالإنسي بالخضوع له وطاعته، والإنسي استمتع بالجني؛ لأنه يخدمه، ويحضر له ما يريد، قال تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨) وكذلك نُولِي بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨-١٢٩]، فهذه خوارق شيطانية، فالفارق بينها وبين الكرامة: الإيثار والعمل الصالح؛ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أما من عاداهم، فقد حصل عنده بسبب فهم الخوارق خلط كثير، فالمعتزلة ومن نحا نحوهم من العقلانيين إلى يومنا هذا ينكرون الكرامات، حتى إن غلاتهم ينكرون بعض المعجزات، ويقولون: (هذه لا يثبتها العقل)؛ لأنهم يقدمون عقولهم.

الصنف الثاني - وهم القبوريون والصوفيون-: غلوا في إثبات الكرامات، حتى أثبتوها لأولياء الشيطان، فيثبتونها لمن لا يصلي ولا يصوم، إذا جرى على يده خارق للعادة، وهي خوارق شيطانية، ومنهم من يغلو في الولي الصالح، ويتخذة إلهًا مع الله؛ كما حدث للقبوريين، فلو قرأت كتاب الشعراني المسمى «طبقات الأولياء»، لرأيت العجب العجيب والحكايات الباطلة، فالولي عندهم خرج عن التكليف، ولا يحتاج إلى العبادة.

فالإنسان مهما بلغ من الصلاح والعبادة، فإنه لا يخرج عن العبودية - لا الملائكة، ولا الأولياء، ولا الأنبياء-، حتى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَاللَّهُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»^(١)، وهو سيد البشر وخير من مشى على الأرض، ويقول الله له: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، فما أحد بلغ ما بلغه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما خرج عن عبادة الله، حتى المسيح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٢-١٧٣]، فهذا بحث عظيم يجب معرفته، وبخاصة في أوقات الجهل والخرافة.



(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاتُكُمْ لَهُ»، ومسلم (٧٩) (١١١٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ^[١]،

الشرح

[١] الأشرارط: جمع شرط، وهو العلامة، ومنه سمي الشرطي شرطياً؛ لوجود العلامة عليه^(١).

وأشراط الساعة: علاماتها الدالة على قرب وقوعها، قال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، فقلوه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾؛ أي: ينتظرون، وقوله: ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: لا يعلم وقتها إلا الله، قال سبحانه: ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال جبريل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ النَّشَاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»^(٢).

وقد ذكر العلماء أن أشراط الساعة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلامات الصغرى، وهذه حصلت وانقضت.

القسم الثاني: العلامات الوسطى، هذه ما تزال تحدث؛ مثل: ما حدث في زماننا من تقدم الصناعات والاتصالات، واستخراج الكنوز من الأرض،

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٧/٣٢٩): «وَالشَّرْطُ بِالْتَحْرِيكِ الْعَلَامَةُ وَالْجَمْعُ أَشْرَاطٌ وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ أَعْلَامُهَا وَهُوَ مِنْهُ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾، وَانْظُرْ أَيْضًا: التَّعْرِيفَاتِ لِلْجَرَجَانِي (ص ١٦٦)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (١٩/٤٠٥). وَانْظُرْ: تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٢١/١٠٦)، وَزَادَ الْمَسِيرَ (٤/١١٨)، وَابْنُ كَثِيرٍ (٧/٣١٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٤).

وتقارب البلدان، حتى كأن العالم قرية واحدة، واجتماع اليهود في فلسطين؛ انتظاراً للدجال، وتوطئة للملاحم التي ستقوم هناك.

القسم الثالث: العلامات الكبرى: من خروج الدجال، ونزول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، فهذه إذا حصل أحدها، تتابعت البقية^(١).

وقوله: (مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ): هو أول العلامات الكبرى، وهو من اليهود، ويدّعي الربوبية، ومعه خوارق شيطانية، تفتن الناس، يأمر السماء، فتمطر، ويأمر الأرض، فتخرج ما فيها من الكنوز والنبات^(٢).

والدجال هو أشد الفتن؛ لأن الذين يُفتنون به كثير؛ لشدة ما معه من الفتن، ومعه جنة ونار، ويأتي على جميع الأرض إلا مكة والمدينة، وهذه الفتنة

(١) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١) عَنْ أَبِي حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أُطْلِعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غُرْفَةٍ، وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: إِنَّمَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ -فَذَكَرَ- الدُّخَانَ، وَالْدَّجَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

(٢) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧)، وفيه: «...فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَعِجِلُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دُرًّا، وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيَضْبَحُونَ مُنْجِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْحَرَبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ....».

تميز المؤمن من الكافر، وسُمِّي دجالاً من الدجل، وهو الكذب^(١)؛ لكثرة كذبه، وسمي المسيح؛ لأنه يسير في الأرض، ويمسحها بسرعة^(٢)؛ لما هبأ الله له من وسائل المواصلات السريعة، التي هي أسرع من الريح، وقيل: سمي بذلك لأن عينه ممسوحة^(٣)، فهو أعور^(٤)، ويسمى: مسيح الضلالة.

فيخرج الدجال، فيتبعه اليهود، فيقودهم^(٥)، ويحصل بسببه على المسلمين فتنة عظيمة، وما من نبي إلا حذر أمته منه، وأشدّهم تحذيراً منه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه آخر الأنبياء، وأمته آخر الأمم، وأقربها للدجال^(٦)،

(١) انظر مادة (دجل) في: العين (٦/٨٠)، وتهذيب اللغة (١٠/٣٤٤)، والصحاح (٤/١٦٩٥)، ومقاييس اللغة (٢/٣٢٩)، ولسان العرب (١١/٢٣٦).

(٢) انظر مادة (مسح) في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٢٦)، ولسان العرب (٢/٤٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥) (٢٩٣٤) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه «... وَإِنَّ الدَّجَالَ تَمْسُوحُ الْعَيْنُ، عَلَيْهَا ظَفَرٌ غَلِيظٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ...».

(٤) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم - واللفظ له - (١٠١) (٢٩٣٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ أُمَّتُهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر».

(٥) أخرجه مسلم (١٢٤) (٢٩٤٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيِّسَةُ».

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٥٦)، والترمذي (٢٢٣٤)، وأحمد (٣/٢٢٢) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ الدَّجَالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْوهُ».

وأمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد الأخير من الصلاة: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(١)، فهو فتنة عظيمة وشر كبير، فينزل عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماء، فيقتله بباب «لد»، فيريح الله منه المسلمين^(٢)، ثم يحكم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بحكم الإسلام، فهو تابع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه ليس بعد نبينا نبي، وليس بعد شريعة الإسلام شريعة.

ثم يخرج في وقته يأجوج ومأجوج، وهم -أيضاً- فتنة عظيمة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، وهم أمة من الأمم من بني آدم، كانوا في زمان الإسكندر ذي القرنين، وبني دونهم السد، قال الله تعالى: ﴿فَمَا أَطَّعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾

(١) أخرجه مسلم (١٢٨) (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (١٢٩) (٥٨٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رَوَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

(٢) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يَدْرِكَهُ بَابَ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ...». وانظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٣٧-٤٣٩).

وَمَا أَسْتَطْعُوا لَهُ، نَقَبًا ﴿[الكهف: ٩٧]، فلا يستطيعون الصعود فوق الحائط، ولا يستطيعون نقبه؛ لقوته؛ لأنه من الحديد والبأس الشديد، ولكن إذا جاء وعد الله، جعله دكًّا، فيخرجون، ويفتكون بالعالم، وليس لأحد طاقة في قتالهم، ثم يهلكهم الله في ساعة واحدة^(١).



(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «... ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُجَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّرَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَةٍ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيَضْبَحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَنُّهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَغْنَاكِ الْبُحْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَبْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ...».

وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ^[١]، وَنُورٍ مِنْ بَطْلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا^(١)^[٢]، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا^[٣].

الشرح

[١] ويسمى بالمسيح؛ لأنه كان يمسح على ذي العاهة؛ فيشفيه الله، ويسمى: مسيح الهداية، ونزوله من السماء إلى الأرض في آخر الزمان متواتر، ومن أنكر ذلك، فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، وفي قراءة: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ﴾ -بفتح العين واللام-؛ أي: علامة على قرب الساعة^(٢)، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]، وهذا في آخر الزمان؛ لأنه حي في السماء، ولا يموت إلا بعد إنهاء المهمة الموكلة إليه، فيموت، فيدفن في الأرض بعد أن يقتل الدجال والخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بالإسلام.

[٢] الشمس مسخرة تجري بأمر الله، فتخرج من المشرق، وتغرب من المغرب، ثم إذا كان آخر الزمان، وحان قيام الساعة، أمرها الله سبحانه بالطلوع من المغرب، فتكون علامة للقيامة، وإذا طلعت من مغربها، فلا يقبل الله توبة التائب، قال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨٤). وانظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢١٥)، وتفسير البغوي (٣/ ٢٠٧)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٤٦-١٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٤٠٠)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٥٨١)، وبصائر ذوي التمييز (٦/ ١١٢).

أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾
[الأنعام: ١٥٨]، فالكافر يسلم، ولكن لا يقبل الله إسلامه، والعاصي يتوب،
ولكن لا تقبل توبته.

[٣] قال سبحانه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، تخرج هذه الدابة،
فتسم المؤمن والكافر؛ أي: تضع عليه علامة يتعارف الناس بها، فيتخاطبون،
وهذا يقول: يا مسلم، وهذا يقول: يا كافر، ومعنى قول الله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾
بكلام خارق للعادة^(١).

وليس عندنا خبر ثابت عن موضع خروجها، لكن نؤمن بخروجها من
موضعها الذي يعلمه عالم الغيب والشهادة، قال سبحانه: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً
مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢].

(١) أخرج الطيالسي (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٣) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قَالَ: ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللَّهِ حُرْمَةً خَيْرَهَا
وَأَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا وَهِيَ تَرْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ
عَنْ رَأْسِهَا الثُّرَابَ فَارْفُضُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، وَيَثْبُتُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ
يُعْجِزُوا اللَّهَ تَعَالَى فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَّتْ وَجُوهُهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالْكُوكِبِ الدَّرِّيِّ، وَوَلَّتْ
فِي الْأَرْضِ، لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ؛ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ،
فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: يَا فَلَانُ، الْآنَ تَصَلِّي؟ فَتَقْبِلُ عَلَيْهِ، فَتَسْمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ،
وَتَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَضْطَلِحُونَ فِي الْأَمْصَارِ، يَعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ
الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: يَا كَافِرُ! أَفْضِ حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! أَفْضِ حَقِّي».

وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا^(١)، وَلَا عَرَّافًا^(٢) [١]، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ
الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ^[٢].

الشرح

[١] سبق أن ذكر المؤلف الكرامات وضابطها، وأن الكرامات حق ثابت، ولا يجوز الاعتماد عليها، ولا يظن بأن للأولياء مرتبة يُدعون فيها مع الله عَزَّجَلَّ؛ كما يقوله القبوريون والخرافيون، فيتعلقون بالأولياء والصالحين من أهل هذه الخوارق.

أما قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا، وَلَا عَرَّافًا)، ففيه بيان الفرق بين الكرامة والكهانة والعرافة والسحر والشعوذة والتنجيم، فهذه -أي التي مع الكهان والعرافين- خوارق شيطانية، وأعمال حذقوها وتعلموها بسبب تقربهم من الشياطين، فيظن الناس والجهال أن هذه كرامات، وأنها بسبب ولايتهم لله، وهذا غلط، إنما هي من فعل الشياطين؛ لخضوعهم لهم، وموافقتهم على الشرك، فالسحرة ما توصلوا إلى السحر، إلا لخضوعهم للشياطين، فالسحر من عمل الشيطان، وهو كفر بالله؛ فلا يغتر بهم، فهم

(١) التكهن هو: رجم الإنسان بالغيب فيما لا يعلم، يعني: أنه يستقبل ما سيأتي بما لا علم له به، ويدخل في ذلك عموم الظن. انظر: النهاية (٤/ ٢١٤)، ولسان العرب (١٣/ ٣٦٢)، والقاموس المحيط (ص ١٥٨٥).

(٢) العراف، فهو في اللغة أصله من عرف أو تعرف يتعرف، فهو متعرف أو عراف، وهو الذي يُعرَفُ بأمور غيبية يعرفها، فيخبر بها. انظر: النهاية (٣/ ٢١٨)، ولسان العرب (٩/ ٢٣٨).

يقولون: (هذه كرامة، أو أعمال رياضية، أو أعمال بهلوانية)، ويحضرون في المحافل والنوادي، ويُتركون يعملون السحر أمام الناس، ويقولون: (هذه أمور رياضية)؛ ليضلوا الناس، وليأكلوا بسحرهم الأموال، فيجب التنبيه على هؤلاء وبغضهم وعداوتهم؛ لأنهم أعداء الله ولرسوله.

والسحر على قسمين:

القسم الأول: سحر حقيقي: وهو ما يؤثر في بدن المسحور؛ فيمرضه، أو يؤثر على عقله، أو يقتله، فهذا عمل شيطاني.

القسم الثاني: سحر تخيلي، قال الله تعالى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾ [طه: ٦٦]، وهو ما يسمى: القمرة، فيعملون شيئاً على أعين الناس، وهو ليس له حقيقة، فيظهر منه أن يضرب نفسه بالسيف، وأنه يأكل المسامير أو النار أو الزجاج، أو يدخل في النار، أو أن السيارة تمشي عليه، أو ينام على مسامير، أو يجر السيارة بشعره، أو يأتي بأوراق عادية، ويروج على الناس أنها نقود، وإذا ذهب سحره، عادت الأوراق إلى أصلها؛ كما يحصل من النشالين.

ومن أعمال السحرة -أيضاً-: أن يأتي أحدهم بجعلٍ، وهي الحشرة المعروفة، ويُظهر بسحره أمام الناس أنها خروف، وكذلك فهم يروجون على الناس أنهم يمشون على خيط دقيق، وهو ما يسمى السيرك، أو ما يسمى بالبهلوان.

فهذا كله كذب وتدجيل على الناس، وسحر لأعين الناس، وهو سحر تخيلي، إذا ذهب هذا السحر، عادت الأمور كما هي.

فيجب علينا أن لا نغتر بهم، ولا نصدقهم، ولا نمكنهم من أولادنا ولا بلادنا من أجل ترويع سحرهم.

وأما الكاهن: فهو الذي يدعي علم الغيب، وقد أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الشياطين يسترقون السمع، فيسرقون الكلمة، فيخبرون بها الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدقها الناس في كل ما قال بسبب تلك الكلمة^(١)، قال سبحانه: ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]، وكانت الكهانة في الجاهلية كثيرة، فكان في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه، ويسألونه عن الأمور الغائبة، ولما جاء الإسلام، أبطل الكهانة ومنع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الذهاب إلى الكهان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٢)، وهذا الحديث في صحيح مسلم، وجاء في السنن «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ» حَتَّى إِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا يَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفُهُ سُفْيَانُ بَكْفِهِ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرَبِّمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرَبِّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةً كَذِبَةٍ، يَقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ».

(٢) أخرجه مسلم (١٢٥) (٢٢٣٠).

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١)، ولما سُئِلَ عن الكهان، قال: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»^(٢)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ»^(٣).

فالكاهن: هو الذي يدّعي علم الغيب، بسبب تعامله مع الشيطان. وأما العراف: فهو الذي يدّعي علم الغيب، لكن ليس بواسطة الشياطين، وإنما بالحدس والتخمين، فيقول: (يمكن أن يقع كذا وكذا)؛ بناء على تنبؤات كاذبة.

وقال بعض أهل العلم: إن العراف هو الكاهن، كل منهما يخبر عن الأمور الغائبة، لكن باختلاف الوسيلة، فيجب على المسلم أن يكفر بالكهانة والعرافة، ولا يصدق أهلها، فهم ليسوا من أولياء الله، إنما هم من أولياء الشيطان، ومن أراد التوسع في هذا، فليراجع كتاب «الفرقان» لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (٣٣١ / ١٥)، والحاكم في المستدرک (٤٩ / ١) وصحّحه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه بنحوه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في الكبرى (٨٩٦٨)، والدارمي في سننه (١١٧٦). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢١٧ / ١٠): (وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين، أخرجهما البراء بسندين جيدين).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢١٣)، ومسلم (١٢٣) (٢٢٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يُخْطَفُهَا الْجِنِّي، فَيَقْرُأُ فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ».

(٣) أخرجه مسلم (٣٣) (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما التنجيم، فالمنجم: هو الذي يخبر عن الأمور المستقبلية بواسطة النظر في النجوم: إذا طلع النجم الفلاني، يحصل كذا، وإذا غرب النجم الفلاني، يحصل كذا، والبرج الفلاني فيه نحس، أو فيه سعادة، وهكذا يستندون إلى هذه الأعمال الكاذبة.

فالتنجيم: (هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية)؛ كما عرفه شيخ الإسلام^(١).

والتنجيم من أمور الجاهلية، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزْبَعَ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْإِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»^(٢)؛ أي: طلب السقاية من النجوم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۖ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۖ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۖ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢]؛ أي: تنسبون ما يحصل لكم من الرزق للنجوم والحوادث الفلكية، فهذا من اعتقاد الجاهلية، فالنجوم إنما هي خلق من خلق الله مسخرة، وخلقها الله لثلاث حكم:

الأولى: أنها زينة للسماء الدنيا.

الثانية: أنها رجوم للشياطين.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثالثة: أنها علامات يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فمن اعتقد أنها لغير ذلك، فهو قد أضاع نصيبه^(١).

وإذا تدبرت القرآن، وجدت أن الله ذكر للنجوم ثلاث فوائد، أما ما يحدث في الأرض من حوادث، فليس للنجوم فيها تأثير، وإنما المنجمون يُدلسون ويكذبون على الناس، ويقولون: (إن هذه الحوادث بسبب النجوم)، قال سبحانه: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ [النحل: ١٢]، فهذه الأمور تخل بالعقيدة، ويبطل إيمان المرء إذا صدق أن النجوم هي التي فعلت هذا الشيء بالكون.

[٢] (وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ)؛ أي: لا نصدق أحداً يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع؛ لأنها الأدلة التي يعتمد عليها، فما خالفها، فهو باطل، سواء من الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات.



(١) قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بغيرِ ذَلِكَ، أخطأ، وَأضَاعَ نصيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». أخرجه البخاري معلقاً- كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (ص ٥٧٨)، والطبري في تفسيره (٩١/ ١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٣/ ٩)، والبغوي في شرح السنة (٣٩٥/ ٤). وانظر: الدر المنثور (٣/ ٣٢٨).

وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا^[١].

الشرح

[١] نرى - معشر أهل السنة والجماعة - أن الاجتماع حق، والفرقة عذاب، فالاجتماع للأمة على الحق رحمة، والفرقة بينهما عذاب، وهذا من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، فيجب الاجتماع ونبذ الفرقة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فحبل الله القرآن والإسلام، وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: اجتمعوا على القرآن والسنة، وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾؛ لما أمر الله بالاجتماع، نهى عن الفرقة، وأخبر أن الاجتماع يكون على حبل الله، وهو القرآن، ولا يجوز الاجتماع على غيره من المذاهب والحزبيات؛ فهذا يُسبب الفرقة.

فالاجتماع لا يحصل إلا على كتاب الله، قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فأمر الله سبحانه بالاجتماع ونبذ الفرقة في الآراء وفي القلوب، فالمسلمون مهما تفرقوا وبعدت أقطارهم، فإنهم مجتمعون على الحق، وقلوبهم مجتمعة، ويجب بعضهم بعضًا، أما أهل الباطل - وإن كانوا في مكان واحد، أحدهم إلى جنب الآخر -، فهم مجتمعة أبدانهم متفرقة قلوبهم، قال سبحانه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الروم: ٣١، ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فالواجب على المسلمين أن يكونوا أمة واحدة؛ في عقيدتها، وفي عبادتها، وفي جماعتها، وطاعتها لولي أمرها، فتكون يدًا واحدة، وجسمًا واحدًا، وبنية واحدة؛ كما شبهها النبي ﷺ^(١)، وهذا رحمة للمسلمين؛ تحقن دماؤهم، وتتآلف قلوبهم، ويأمن مجتمعهم، فإذا حصل هذا، درت عليهم الأرزاق، أما إذا تناحروا وتقاطعوا وتباغضوا، تسلط عليهم الأعداء، وسفك بعضهم دماء بعض.

والاختلاف على قسمين:

القسم الأول: اختلاف في العقيدة، وهذا لا يجوز أبدًا؛ لأنه يوجب التناحر والعداوة والبغضاء، ويفرق الكلمة، فيجب أن يكون المسلمون على عقيدة واحدة، وهي عقيدة لا إله إلا الله، واعتقاد ذلك قولًا وعملاً واعتقادًا، والعقيدة توقيفية، ليست محلًا للاجتهاد، فإذا كانت كذلك، فليس فيها مجال للفرق، فالعقيدة مأخوذة من الكتاب والسنة، لا من الآراء

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) (٦٦) عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». وأخرج البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ، كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَكَ أَصَابِعُهُ»

والاجتهادات، فالفرقة في العقيدة تؤدي إلى التناحر والتباغض والتقاطع؛ كما حصل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والفرق الضالة التي أخبر عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١)، فما يجمع الناس إلا ما كان مثل ما عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

القسم الثاني: اختلاف في الاجتهاد الفقهي، وهذا لا يوجب عداوة؛ لأن سببه هو النظر في الأدلة حسب مدارك الناس، والناس يختلفون في ذلك، وليسوا على حد سواء، فهم يختلفون في قوة الاستنباط وفي كثرة العلم وقلته.

فهذا الخلاف إذا لم يصحبه تعصب للرأي، فإنه لا يفضي إلى العداوة، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يختلفون في المسائل الفقهية، ولا يحدث بينهم عداوة، وهم إخوة، وكذلك السلف الصالح والأئمة الأربعة يختلفون، ولم يحصل بينهم عداوة، وهم إخوة، وكذلك أتباعهم، فإذا تعصب أحدهم للرأي،

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢١٨ / ١)، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٧ / ٥)، والصغير (٢٩ / ٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وروى نحوه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وصححه البغوي في شرح السنة (٢١٣ / ١)، والحديث فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي، قال الحافظ في التريب: (ضعيف في حفظه، وكان رجلاً صالحاً). وانظر: تهذيب التهذيب (١٧٣ / ٦)، والميزان (٥٦١ / ٢)، والكمال (٥٩٠ / ٤).

فإن ذلك يوجب العداوة، ويجب على المسلم أن يأخذ الأقوال التي توافق الدليل من الكتاب أو السنة، قال سبحانه: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، فيرجع في الخلاف إلى الكتاب والسنة، ويؤخذ ما ترجح بالدليل.



وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ^[١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]^[٢].

الشرح

[١] والإسلام عبادة الله وحده لا شريك له، فهذا تدين به الملائكة في السماء والإنس والجن في الأرض، وهو دين الإسلام، ومعناه بمفهومه العام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك؛ كما عرفه شيخ الإسلام، ونقله عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ثلاثة الأصول^(١)، فالإسلام دين جميع الأنبياء وأتباعهم، فكل نبي دعا قومه إلى ذلك، وكل من اتبعه على ذلك، فيعتبر مسلماً -سواء من أول الخلق أو آخرهم-، فهو مستسلم لله بالتوحيد، ومنقاد إلى الله بالطاعة.

فدين الأنبياء واحد، وشرائعهم شتى ومختلفة بسبب حاجة البشر في كل زمان ومكان، ففي الحديث: «وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَمَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(٢)، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]،

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٧٦)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٢٦)، وشرح ثلاثة الأصول للمؤلف -حفظه الله- (ص ١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (١٤٥) (٢٣٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَمَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».

فإن الله يشرع لكل نبي ما يناسب قومه، ويناسب مصالحهم، ثم ينسخ الله لأمة أخرى بحسب مصالحها، فمن كان على دين نبي قبل أن ينسخ، فهو مسلم، فعبادة الله بما شرعه لذلك النبي، ولكن بعد البعثة المحمدية صار الدين واحداً، ونسخ الله ما قبله، وصار الدين المعتبر دينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز لأحد أن يبقى على دين من الأديان السابقة؛ لأن رسالته ودينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام لكل الخلق، وشامل لكل زمان ولكل جيل.

[٢] فهو الدين الذي رضي له عباده من بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن تقوم الساعة.



وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ^[١]، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ^[٢]،

الشرح

[١] فالإسلام وسط (بَيْنَ الْغُلُوِّ)، وهو: الزيادة والتشديد، وبين (التَّقْصِيرِ)، وهو: الجفاء، فدين الإسلام وسط، لا تشديد فيه، ولا تحلل منه، فكلا الطرفين مذموم، والوسط خير، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا»^(١)، والمتنطعون هم المتشددون في أمور الدين. وفي الحديث: «جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَآيِنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأَصَلِّيَ اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لِكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢)؛ لأن هذا تشديد ما أمر الله به، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا

(١) أخرجه مسلم (٧) (٢٦٧٠) من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٥) (١٤٠١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

طَيَّبَتْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴿[المائدة: ٨٧]﴾؛ يعني: من باب التدين، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ﴿[المائدة: ٨٧]﴾، فالآية شملت الطرفين، فالدين وسط.

[٢] أي: في العقيدة، بين التعطيل والتشبيه، بين تعطيل أسماء الله وصفاته، وبين تشبيه المخلوق بالخالق، والعقيدة وسط، فالمعطلة غلوا في التنزيه، فنفوا الأسماء والصفات، والمشبهة غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الله بخلقه، والعقيدة وسط، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿[الشورى: ١١]﴾، هذا رد على المشبهة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿[الشورى: ١١]﴾، هذا فيه رد على المعطلة.

ونحن -معشر أهل السنة والجماعة- نثبت ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله من الأسماء والصفات، ولا نعطلها، ولا ننفيها، ولا نشبه الله بأحد من خلقه، بل: نقول أسماء الله وصفاته تليق به سبحانه، وإن كانت هذه الأسماء والصفات موجودة في البشر، لكن الكيفية مختلفة، والصفة تابعة للموصوف.



وَيَنْ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ^[١]

الشرح

[١] مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين الجبرية والقدرية، فالجبرية يغلون في إثبات القدر، حتى يسلبوا العبد عن الاختيار، فيقولون: (العبد ليس له اختيار، أفعاله كلها مجبور عليها، فهو آلة يحركه القدر، فصلاته وصيامه وأعماله ليس له فيها اختيار، فهو يحرك كما تحرك الآلة)، وهذا مذهب باطل. والقدرية غلوا في إثبات اختيار العبد، فنفوا القدر، حتى جعلوا العبد مستقل بأفعاله، ويخرجونها من إرادة الله ومشيئته، وأن العبد له إرادة مستقلة، فقالوا: (هو الذي يخلق فعل نفسه، وليس لله فيها تصرف)، وهذا مذهب المعتزلة.

أما أهل السنة والجماعة، فتوسطوا في هذه المسألة، وقالوا: (إن العبد له اختيار ومشية، يفعل باختياره، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره، فأفعاله خلق الله، وهي فعله وكسبه، فهو الذي يفعل المعاصي، ويفعل الطاعات، ولكن الله هو المقدر، فلذلك يعاقب على جرائمه، ويثاب على طاعته، ولو كان يفعل هذا بغير اختياره، ما حصل على الثواب ولا العقاب، فالمجنون والصغير لا يؤاخذان، وكذلك المكروه الذي ليس له اختيار لا يؤاخذ).



وَيَبِّنُ الْأَمْنَ وَالْإِيَّاسَ^[١].

الشَّرْح

[١] كذلك، هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو الوسط بين الأمن من مكر الله والإيَّاس من رحمته، فهم يرجون رحمة الله، ولا يأمنون من مكر الله، ولا من العذاب والفتنة، لكن لا يقنطون من رحمة الله؛ فيجمعون بين الخوف والرجاء، وهو ما كان عليه الأنبياء، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فهؤلاء هم الأنبياء، فخوفهم من الله لم يحملهم على القنوط من رحمة الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وأيضا: رجاؤهم من الله لم يحملهم على الأمن من مكر الله، قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو الأنبياء يقول: ﴿وَأَجْتَنِبِي وَبَيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أؤمن على نفسه، ولكنه خاف الفتنة؛ لأنه بشر.

فلا يأمن الإنسان على نفسه، ويقول: أنا رجل صالح، بل يخاف على نفسه، مع عدم القنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ. ﴿[الزمر: ٥٣-٥٤].

فالواجب على الإنسان: أن يفعل أسباب الرحمة - وهي التوبة وإسلام
الوجه لله سبحانه -، عند ذلك يحصل على رحمة الله، فرحمة الله قريب من
المحسنين، والإحسان سبب الرحمة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهويين
مذهب المرجئة الذين يقولون: (لا يضر مع الإيمان معصية، فإذا كان الإنسان
مؤمنًا بقلبه، فلا تضره المعصية)، فهو لاء آمنوا مكر الله، ويقولون: (الأعمال
لا تدخل في حقيقة الإيمان، فيدخل الجنة، وإن لم يعمل شيئاً عندهم)، وهذا
مذهب أفسد الدنيا، تحلل الناس من الدين بسببه، وقالوا: (ما دام أننا ندخل
الجنة، فلا حاجة إلى الأعمال)؛ فيفعلون ما يشاءون.

وبين الوعيدية الخوارج الذين يكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ويرون
إنفاذ الوعيد الذي ذكره الله على من عصاه، فإن الله توعدهم العصاة، لكن قال:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهم
تحت المشيئة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الوسط.

والقول الحق مع أهل السنة والجماعة الذين توسطوا بين الأمن والرجاء،
والخوف والقنوط، ولهذا يقولون: (الخوف والرجاء بالنسبة للإنسان
كجناحي الطائر، ولا بد من سلامة الجناحين، فكذلك الخوف والرجاء لو
اختلف أحدهما سقط، فلا بد من التعادل كما يتعادل جناحا الطائر).



فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ^[١]. وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ^[٢]،

الشرح

[١] أي: ما ذكرناه في هذه العقيدة من أولها إلى آخرها، فهو ديننا -معشر المسلمين-، ونحن براء من كل من خالفه؛ لأنها عقيدة حق، وما خالفها، فهو باطل.

[٢] هذا تأدب مع الله، لما بين عقيدة أهل السنة والجماعة، سأل الله أن يثبتته عليها، فلا يكفي أن الإنسان يعرف العقيدة، فالعالم يَزَلُّ ويخطئ، فلا يغتر الإنسان بعلمه، ولا يأمن الفتن، فهل علمه يعادل علم إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد دعا الله، فقال: ﴿وَأَجِئْبَنِي وَبَيِّنْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿[إبراهيم: ٣٥-٣٦]؟

فالإنسان يسأل الله السلامة والعافية، فكم من عالم زل وانحرف عن الدين، وكم وكم...؛ فالأعمال بالخواتيم.



وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ^[١]، وَالْمَذَاهِبِ
الرَّدِيَّةِ^[٢]؛ مِثْلُ: الْمُشَبَّهَةِ^(١)^[٣]، وَالْمُعْتَزَلَةِ^(٢)^[٤]، وَالْجَهْمِيَّةِ^(٣)، وَالْجَبَرِيَّةِ^(٤)^[٥]،
وَالْقَدَرِيَّةِ^(٥)^[٦]، وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَخَالَفُوا
الضَّلَالََةَ^[٧]،

الشرح

[١] ما أضل الناس إلا الأهواء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ
هُوَئِهِ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ
أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فالإنسان يسأل الله السلامة
من الهوى، وأن يهديه الحق، وإن خالف هواه، وقال الله عَزَّجَلَّ في اليهود:
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا
تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، فالهوى خطير جدًا.

[٢] وهي الفرق التي أخبر عنها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «سَتَتَفَرَّقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ
عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ...»^(٦) الحديث؛ لأنها خارجة عن

(١) الْمُشَبَّهَةُ، وهي طائفة ظهرت شبهت الله عَزَّجَلَّ في الصفات بخلقه، سواء أكانت صفات
الذات أو صفات الأفعال، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٠٨)، ومنهاج السنة
لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٦١٨).

(٢) سبق التعريف بهم (ص ٢١).

(٣) سبق التعريف بهم (ص ٢٠).

(٤) سبق التعريف بهم (ص ٤٤).

(٥) سبق التعريف بهم (ص ٢١).

(٦) سبق تخريجه (ص ٢٩٨).

الحق، إلا من سار على مثل ما سار عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؛ فإنهم ناجون من النار، ولذلك سمو بالفرقة الناجية. والمذاهب بمعنى الآراء.

[٣] هم الذين شبهوا صفات الله بصفات المخلوقين.

[٤] هم الذين عطلوا صفات الله ونفوها، بحجة أنهم ينزهون الله، فغلوا في التنزيه، وهم أتباع واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد، وكانا من تلاميذ الحسن البصري، وكانا يحضران في حلقاته، فسئل الحسن البصري عن صاحب الكبيرة، فأجاب بما يوافق الكتاب والسنة، وقال: هو تحت المشيئة، ولا يكفر بالكبيرة، وهو ناقص الإيمان، فعند ذلك أنكر عليه واصل، وقال له: هو في منزلة بين المنزلتين، ليس بكافر ولا مسلم.

فاخترع هذا المذهب الباطل، واعتزل مجلس الحسن، واجتمع حوله الناس الذين هم من جنسه، فكونوا جماعة، سُمُّوا بالمعتزلة.

[٥] وهم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي^(١)، تبنى مذهب شيخه

(١) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقدرع شرًا عظيمًا، رأس في التعطيل، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وزعم أن القرآن مخلوق، وذهب إلى القول بأن العبد لا قدرة له أصلًا، بل فعله كحركة المرتعش أو كالريشة في مهب الريح، أو بمنزلة حركة أغصان الشجر، فالعبد عندهم مجبور على فعله، وأن الجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، قتله سلم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

الجعد بن درهم^(١)، وهذا أخذه عن طالوت اليهودي، الذي أخذه عن لبيد ابن الأعصم الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا المذهب هو القول بخلق القرآن، ومن أقوالهم: الجبر؛ أن الإنسان مجبور على أعماله وغيرها، ولذلك نُسبوا إلى الجهم، وسموا بالجهمية، فالجهم أخذه من الجعد الذي كان في أواخر دولة بني أمية، وقتله خالد بن عبد الله القسري^(٢)، كان خالد يخاطب في عيد الأضحى، فقال: (ضحوا -أيها الناس-، تقبل الله ضحاياكم، فإني مٌضحٌ بالجعد بن درهم، فإنه يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً)، فنزل من على المنبر، فذبحه؛ لأنه زنديق، فقتله واجب، وشكر ذلك أهل السنة والجماعة، ولذلك قال ابن القيم في النونية^(٣):

وَلَأَجَلَ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ ادَّ قَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلُهُ كَلًّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي

(١) الجعد بن درهم: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدباً لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مٌضحٌ بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤٦٦/٤)، والنونية بشرح ابن عيسى (١/٥٠، ٥١).

(٢) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي القشيري، أمير مكة للوليد وسليمان، وأمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وهو من أهل دمشق، قال الذهبي عنه: (كان جواداً ممدحاً معظمًا عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف)، توفي سنة ست وعشرين ومائة، وله ستون عامًا. انظر: تاريخ دمشق (١٦/١٣٥)، ووفيات الأعيان (٢/٢٢٦)، والوفاء بالوفيات (١٣/١٥٥)، والعبر (١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/٤٢٦).

(٣) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/٥٠).

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ أَحْيِ قُرْبَانِ

فخلفه الجهم، فنُسب المذهب إليه؛ لأنه هو الذي أظهره، فجمع بين الجبر والتجهم.

ولهذا يقول الشاعر^(١):

عَجِبْتُ لِشَيْطَانٍ أَتَى النَّاسَ دَاعِيًا إِلَى النَّارِ وَانْشَقَّ اسْمُهُ مِنْ جَهَنَّمَ

[٦] مثل نفاة القدر، وهم المعتزلة، يقولون: (أفعال العباد خلقهم، وليست داخلَةً في خلق الله ولا إرادته)، ولذلك سُمُّوا بمجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس أثبتوا خَالِقِينَ: خالق للخير، وخالق للشر، أما القدرية، فأثبتوا خَالِقِينَ متعددين مع الله.

[٧] من الذين خالفوا الكتاب والسنة من سائر الفرق الضالة.



(١) هذا البيت قاله ابن المبارك عندما ذُكر الجهم عنده. انظر: تاريخ الإسلام (٤/ ٨٨٢)، وتذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٢٨٣).

وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضَلَالٌ وَأَزْدِيَاءٌ. وَبِاللّهِ الْعِصْمَةُ
وَالْتَّوْفِيقُ^[١].

الشرح

[١] فنحن نبرأ منهم، ونعاديهم في الله، ونبغضهم؛ لأنهم أهل ضلال وباطل، فالواجب هجرهم ونبغضهم، والرد عليهم وعلى باطلهم. فنحن نتبرأ ممن يقول: (إن كل الفرق تحت اسم الإسلام، ويجب أن نتغاضى عن هذه الأمور؛ أخذًا بحرية الكلمة وحرية الرأي، فالفرق كلها تدخل تحت الإسلام)، وهذا مذهب باطل وخطير على الأمة، وحرية الكلمة والرأي مقيدة بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

والفرق المخالفة كلها في النار إلا الفرق التي على ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والإنسان عُرضة للخطأ، والعصمة والتوفيق والحول والقوة بيد الله، فالإنسان لا يضمن لنفسه النجاة، إنما يرجو الله ويخافه.

وبهذا انتهت هذه النبذة المباركة، المشتملة على جمل عظيمة من اعتقاد أهل السنة والجماعة، فنسأل الله أن ينفعنا بها، وأن يجزل لمؤلفها جزيل الثواب على ما بين، وعلى ما وضع وعلى ما كتب، وعلى ما نصح للأمة، فجزاه الله خيرًا وسائر أئمة المسلمين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

المراجع

- ❖ الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار القاهرة ١٣٩٧هـ.
- ❖ إثبات صفة العلو، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. شرف محمود القضاة، الناشر: دار الفرقان - عمان الأردن، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
- ❖ الأحاديث القدسية الأربعينية، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، خرَّج أحاديثه: أبو إسحاق الحويني الأثري، الناشر: مكتبة الصحابة، جدة - الشرفية، مكتبة التابعين، سليم الأول - الزيتون، عدد الأجزاء: ١

- ♦ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١٣.
- ♦ اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.
- ♦ الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.
- ♦ أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.
- ♦ الاستيعاب لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ❖ الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادبي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.
- ❖ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.
- ❖ اعتقاد أئمة الحديث، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار العاصمة، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
- ❖ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب. دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.
- ❖ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق:

ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،
الطبعة: السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ أمراض القلب وشفائوها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن
عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية
الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، الناشر: المطبعة السلفية -
القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ هـ، عدد الأجزاء: ١

❖ إنباء الغمر بأبناء العمر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن
أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: د حسن حبشي،
الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث
الإسلامي، مصر، عام النشر: ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م، عدد الأجزاء: ٤
❖ الإنباء في تاريخ الخلفاء، المؤلف: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن
العمري، (المتوفى: ٥٨٠ هـ)، المحقق: قاسم السامرائي، الناشر: دار
الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد
الأجزاء: ١.

❖ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨ هـ)،
المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان،
عدد الأجزاء: ٢.

❖ الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الله
عمر البارودي. دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

- ❖ إثثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ابن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليميني (المتوفى: ٨٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ الإيمان. محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ❖ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- ❖ البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
- ❖ البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ❖ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
- ❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

- ◆ بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢
- ◆ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ◆ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- ◆ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، المؤلف: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله ابن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب (المتوفى: ٢٨١هـ)، رواية: أبي الميمون بن راشد، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني (أصل الكتاب رسالة ماجستير بكلية الآداب - بغداد)، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عدد الأجزاء: ١.
- ◆ تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.
- ◆ تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٦.

- ❖ تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).
- ❖ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.
- ❖ تذكرة الحفاظ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، تصحيح تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٧٤هـ.
- ❖ تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج (تخريج منهاج الأصول للبيضاوي)، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ التذكرة في علوم الحديث، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها: علي حسن عبد الحميد، الناشر: دار عمّار، عمّان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ❖ تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قیماز الشهير بـ «الذهبي» (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)، تحقيق: غنيم عباس غنيم - مجدي السيد أمين، الناشر:

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م،
عدد الأجزاء: ١١.

♦ التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، المؤلف: محمد بن الحسين
الآجري أبو بكر، المحقق: محمد غياث الجنباز، الناشر: دار عالم الكتب،
سنة النشر: ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.

♦ التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت
- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

♦ تفسير ابن سعدي، وهو تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
مؤسسة الرسالة، بيروت.

♦ التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي
الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، المحقق: أصل
تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت
لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ،
عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ جزء للفهارس)

♦ تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي
معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث
العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

♦ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن
جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:

٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

❖ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

❖ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

❖ تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

❖ تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.

- ♦ التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.
- ♦ التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
- ♦ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢٤.
- ♦ التنبهات السنية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز الناصر الرشيد. دار الرشيد الرياض. الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ.
- ♦ تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١٢.
- ♦ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٨.
- ♦ التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي

(المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١.

❖ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

❖ التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

❖ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

❖ ثلاثة الأصول مع شرحها، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، في مجلد، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.

❖ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله

البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩.

♦ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزء (في ١٠ مجلدات).

♦ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

♦ الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد للشيخ ابن عثيمين. نشر دار طويق، ط ١، ١٤١٤ هـ، الرياض - السعودية.

♦ حادي الأرواح لابن القيم، تحقيق: بشير عون، ط مكتبة المؤيد.

♦ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩ هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.

- ❖ الخلاصة في معرفة الحديث، المؤلف: الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، المحقق: أبو عاصم الشوامي الأثري، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع - الرواد للإعلام والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ خلق أفعال العباد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨.
- ❖ درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠.
- ❖ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ١٦.
- ❖ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جار الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.

♦ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧.

♦ الدليل الشافي على المنهل الصافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن، المحقق: فهيم محمد شلتوت، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: جامعة أم القرى - مكتبة الخانجي، عدد المجلدات: ٢.

♦ الديباج المذهب في مصطلح الحديث (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه)، المؤلف: يُنسب لعل بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنباي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، باشر طبعه: محمد أمين عمران، عام النشر: ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م، عدد الأجزاء: ١.

♦ ذيل تذكرة الحفاظ، محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت.

♦ الرد على الجهمية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنَدَه العبدِي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد ناصر الفقيهي، الناشر: المكتبة الأثرية - باكستان، عدد الأجزاء: ١

♦ الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق: د. بدر بن عبد الله البدر. دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م.

❖ الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.

❖ رسالة الرد على من قال بفناء الجنة والنار لابن تيمية، تحقيق د. محمد عبد الله السمهوري. ط دار بلنسية ١٤١٥هـ.

❖ رسالة في أصول الحديث (مطبوع ضمن كتاب: رسالتان في المصطلح)، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: علي زوين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ١.

❖ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

❖ الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

❖ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

- ◆ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ◆ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧ هـ.
- ◆ الزهد، هناد بن سري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ◆ سمط النجوم العوالي، عبد الملك بن عبد الملك الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ هـ.
- ◆ السنة لعبد الله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني. دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ◆ السنة، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم أحمد السلف.
- ◆ السنة، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك ابن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠، عدد الأجزاء: ٢.

❖ سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

❖ سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

❖ سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

❖ سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرر الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

❖ السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق:

عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٤.

♦ السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (١٠ و ٢ فهارس).

♦ السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

♦ سؤالات ابن أبي شيبه، علي بن عبد الله بن جعفر المديني، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر. مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

♦ سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.

♦ السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١١.

❖ شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦ هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ شرح أصول اعتقاد أهل السنة؛ لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨ هـ)، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢ هـ.

❖ شرح السنة، المؤلف: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري (المتوفى: ٣٢٩ هـ)، عدد الأجزاء: ١.

❖ شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١٥.

❖ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى:

٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.

❖ شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

❖ شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

❖ شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣)، ومجلد للفهارس).

❖ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، عدد الأجزاء: ١.

❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

❖ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهرس).

❖ صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

❖ صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٥.

❖ صريح السنة، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء: ١.

- ❖ الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ❖ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- ❖ طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
- ❖ طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠.
- ❖ الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨.
- ❖ العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

- ❖ العرش وما روي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ❖ العظمة، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ❖ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ❖ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥.
- ❖ عمل اليوم والليلة، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦.
- ❖ العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
- ❖ غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- ❖ الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، قدّم له وعرّف به حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ❖ فتاوى مهمة لعموم الأمة، المؤلف: عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح العثيمين، المحقق: إبراهيم الفارس، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- ❖ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ❖ الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرويه ابن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمداني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٥.
- ❖ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ م، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.

- ❖ الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، عدد الأجزاء: ٥
- ❖ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، عدد الأجزاء: ٦.
- ❖ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١
- ❖ القضاء والقدر، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ❖ القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.
- ❖ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

- ◆ الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٤.
- ◆ الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ◆ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢.
- ◆ كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَقَاض الفَرَيَّابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ◆ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١ م، عدد الأجزاء: ٦ (١، ٢ كشف الظنون، و٣، ٤ إيضاح المكنون، و٥، ٦ هداية العارفين).

- ❖ اللالئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق عادل بن محمد مرسي رفاعي، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، مجلدان.
- ❖ لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
- ❖ لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الصفحات: ٤٦.
- ❖ المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٩ (٨ مجلد للفهارس).
- ❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.
- ❖ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

♦ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، جمع: فهد السلمان. دار الشريا ١٤١٩هـ.

♦ مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

♦ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، مؤلف الأصل: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

♦ مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

♦ مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن وتهذيب ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط دار المعرفة - بيروت.

♦ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المؤلف: شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قزأوغلي بن عبد الله المعروف بـ (سبط ابن الجوزي) (٥٨١-٦٥٤هـ)،

تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ربحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، عدد الأجزاء: ٢٣ (الأخير فهارس).

❖ المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.

❖ المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.

❖ مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.

❖ مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧ هـ)، المحقق: حسين

سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.

❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

❖ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م)، عدد الأجزاء: ١٨.

❖ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

❖ مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن

عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ٤.

❖ مشيخة القزويني، المؤلف: عمر بن علي بن عمر القزويني، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: ٧٥٠هـ)، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).
❖ المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

❖ المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.

❖ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ ابن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

- ◆ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: ٥.
- ◆ المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.
- ◆ معجم الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ◆ معجم السفر، المؤلف: صدر الدين، أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ)، المحقق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: المكتبة التجارية - مكة المكرمة، عدد الأجزاء: ١
- ◆ المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعة - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

❖ المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

❖ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

❖ معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.

❖ معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).

❖ المعين في طبقات المحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: د. همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: دار الفرقان - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ١

- ❖ المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ❖ المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- ❖ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).
- ❖ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، مؤلف «علوم الحديث»: عثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي (٥٧٧هـ - ٦٤٣هـ)، مؤلف «محاسن الاصطلاح»: عمر بن رسلان بن نصير ابن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: ٨٠٥هـ)، المحقق: د عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) أستاذ الدراسات العليا، كلية الشريعة بفاس، جامعة القرويين، الناشر: دار المعارف، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن مفلح الحنبلي - مكتبة الرشد - الرياض - السعودية ١٤١٠هـ.
- ❖ المقفى الكبير، المؤلف: تقي الدين المقرئزي (المتوفى: ٨٤٥هـ = ١٤٤٠م)، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي،

بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٨ (الأخير فهارس).

❖ الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

❖ المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد ابن نصر الكشي ويقال له: الكشي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩ هـ)، المحقق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، عدد الأجزاء: ١.

❖ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

❖ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، عدد الأجزاء: ١.

❖ منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

❖ المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣ هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن

رمضان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ١.

❖ موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٢.

❖ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

❖ النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقاً بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبايطي - عماد السيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

❖ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر:

دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٨.

النهاية في الفتن والملاحم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

❖ الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، عدد الأجزاء: ٧.



فهرس الموضوعات

٧.....	مقدمة الناشر.....
١٢.....	مقدمة الشارح.....
١٧.....	إن الله واحد لا شريك له.....
١٧.....	تعريف التوحيد لغةً وشرعاً.....
١٨.....	أقسام التوحيد الثلاثة.....
٢٣.....	شرح قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ولا شيء مثله).....
٢٥.....	إثبات كمال قدرة الله.....
٢٦.....	شرح قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ولا إله غيره).....
٢٧.....	الفناء والبيد بمعنى واحد.....
٢٧.....	شرح قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (قديم بلا ابتداء).....
٢٨.....	إثبات القدرة وإثبات الإرادة.....
٢٩.....	الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحاط به.....
٣٠.....	كمال حياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.....
٣٣.....	الإحياء والإماتة من عجائب قدرة الله.....
٣٥.....	صفات الله جَلَّ وَتَعَالَى أزلاً وأبداً.....

- معنى الرب ٣٧
- القدرة صفة أزلية ٣٨
- كل شيء فقير إلى الله تعالى ٣٨
- بطلان عبادة غير الله ٣٩
- قَدَّرَ الله جَلَّ وَعَلَا المقادير ٤١
- مشيئة الله عَزَّجَلَّ ومشية العباد ٤٣
- إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ٤٦
- علو الله عَزَّجَلَّ ٤٨
- ما يجب اعتقاده في الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥١
- التعرف على الرسول من واجبات الدين وأصول الإسلام ٥٢
- مقام العبودية أعلى المقامات ٥٣
- صفات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥٦
- كل دعوى للنبوّة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باطلة وكفر ٦١
- الإيمان بأن القرآن كلام الله عَزَّجَلَّ ٦٤
- إثبات رؤية الله عَزَّجَلَّ يوم القيامة ٧٤
- معنى الاستسلام والانقياد ٨٣
- إثبات الإسراء والمعراج لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٩٤
- إثبات الحوض للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٩٩
- بحث في الشفاعة وأقسام الناس فيها ١٠٢
- تعريف الشفاعة لغةً وشرعاً ١٠٣

- الشفاعة عند الخلق على قسمين..... ١٠٣
- شروط الشفاعة..... ١٠٥
- أنواع الشفاعة الثابتة..... ١٠٦
- الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٠٧
- أخذ الميثاق من آدم وذريته..... ١١١
- مراتب الإيمان بالقضاء والقدر..... ١١٤
- علاقة الإيمان بالقضاء والقدر بالإيمان بالله عَزَّجَلَّ..... ١١٤
- مراتب الإيمان بالقضاء والقدر..... ١١٤
- كل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواص..... ١١٨
- القدر سر الله تعالى في خلقه..... ١٢٠
- العلم علماً..... ١٢٤
- الإيمان بالقلم والقلم..... ١٢٦
- علم الله سبحانه وقدره..... ١٣٠
- العرش والكرسي حق..... ١٣٤
- إثبات الخلة للخليتين: إبراهيم ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَام..... ١٣٩
- الإيمان بالملائكة..... ١٤١
- الإيمان بالكتب..... ١٤٥
- من نطق بالشهادتين واستقام عليهما فإنه مسلم، ولو صدر منه بعض
المعاصي ولو كانت كبائر..... ١٤٦
- من جحد شيئاً مما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفر..... ١٤٨

- لا نخوض في الله ولا نماري في دين الله..... ١٥٠
- لا نجادل في القرآن..... ١٥١
- القرآن كلام الله غير مخلوق..... ١٥٤
- بحث في قوله: لا تكفر بذنب..... ١٥٧
- الخوف والرجاء من أصول العقيدة الإسلامية..... ١٦١
- الإيمان قول وعمل واعتقاد..... ١٦٥
- جميع ما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشرع والبيان كله حق..... ١٦٨
- الإيمان يتفاضل يزيد وينقص..... ١٧٠
- الولاية تتفاضل بحسب الأعمال..... ١٧٢
- بحث في أصحاب الكبائر..... ١٧٧
- من أجل كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ سؤال الله الثبات..... ١٨٤
- شرح قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل
القبلة، وعلى من مات منهم)..... ١٨٦
- بحث في الشهادة لمعين بالجنة أو بالنار..... ١٨٨
- الأصل في المسلم العدالة..... ١٩٢
- لا يجوز قتل المسلم واستباحة دمه، ما لم يظهر منه ناقض من نواقض الإسلام..... ١٩٣
- عدم الخروج على ولاية أمر المسلمين..... ١٩٥
- أصول المعتزلة..... ١٩٦
- من أصول أهل السنة والجماعة الدعاء لولاية الأمور بالهدى والصلاح..... ١٩٨
- من أصول أهل السنة: اتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٢٠٣

- ٢٠٣.....تعريف البدعة.
- ٢٠٧.....أقسام المحبة.
- ٢١٠.....أقسام الناس في المحبة.
- ٢١٢.....الحث على قول: الله أعلم.
- ٢١٤.....المسح على الخفين ضمن مسائر العقيدة.
- ٢١٧.....الصلاة خلف الأئمة، والحج والجهاد معهم.
- ٢١٨.....قتل الكفار على نوعين.
- ٢١٨.....مراحل الجهاد.
- ٢٢١.....الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان.
- ٢٢٤.....الإيمان باليوم الآخر.
- ٢٢٤.....عذاب القبر ونعيمه.
- ٢٢٥.....الدور ثلاث.
- ٢٢٧.....القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.
- الإيمان بالبعث، والجزاء، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب،
- ٢٣٠.....والثواب والعقاب، والصراط والميزان.
- ٢٣٦.....الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً.
- ٢٣٨.....الخير والشر مقدران على العباد.
- ٢٤٠.....بحث في استطاعة الإنسان.
- ٢٤٢.....بحث في خلق أفعال العباد.
- ٢٥٠.....هل عمل الحي ينفع الأموات؟

- ٢٥٣..... من صفات الله تعالى أنه يجب من دعاه.
- ٢٥٤..... الدعاء على قسمين.
- ٢٥٧..... من صفات الله تعالى أنه المالك لكل شيء.
- ٢٥٩..... من صفات الله الفعلية: الغضب والرضا.
- ٢٦١..... بحث في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفضلهم.
- ٢٦١..... تعريف الصحابي.
- ٢٦٧..... ما يجب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من المحبة والولاء.
- ٢٧٠..... ترتيب الخلافة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢٧٢..... العشرة المشهود لهم بالجنة.
- ٢٧٣..... آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢٧٤..... بحث في العلماء وفضلهم.
- ٢٧٤..... العلماء على قسمين.
- ٢٧٥..... الفقه على قسمين.
- ٢٧٧..... بحث في الأولياء وفضلهم.
- ٢٧٧..... أقسام الناس في الولاية والبغض.
- ٢٨٠..... بحث في الكرامات.
- ٢٨٣..... أشرط الساعة.
- ٢٩٠..... الفرق بين الكرامة والكهانة والعرافة والسحر والتنجيم.
- ٢٩١..... أقسام السحر.
- ٢٩٦..... الاجتماع حق، والفرقة عذاب.

الاختلاف على قسمين.....	٢٩٧
الإسلام العام.....	٣٠٠
الإسلام وسط بين الغلو والتقصير.....	٣٠٢
أهل السنة وسيط بين الجبرية والقدرية.....	٣٠٤
أهل السنة وسط بين الأمن واليأس.....	٣٠٥
الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ.....	٣٠٧
فهرس المراجع.....	٣١٣
فهرس الموضوعات.....	٣٥١